جميل الجبوري

الأصالة في الشعر الشعبي العراقي

دراسة مقارنة

منشورات
المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الأصالة في الشعر الشعبي العراقي

دراسة مقارنة

جميل الجبوري

طبعة ثانية



اصدرت وزارة الثقافة والاعلام ببغداد الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٤ ونقحت وزيدت هذه الطبعة الثانية في مطلع عام ١٩٨١ .

الإهداء

اليهــا . . رفيقــة الــدرب في مســيرة الحياة . . .

زوجتـي السيدة وسـام العنبـر ، أهدي هذه الاضمامة المسربلة بالجمال .

حباً ووفاءاً .

جميل الجبوري



تصدير

عاش الشعر ـ بكل فنونه ـ تجربة الحياة بعمق واصالة عبر تأريخه الطويل وظل منذ وجد أهزوجة تستحث الركب وأنشودة تستثير الهمم حتى أن سجل ملاحم الحروب ومثار النقع وصليل السيوف ، ثم خفقات القلوب ووجيب النفوس وتطلعات الآمال . . لا يواكب الحياة فحسب بل يحياها ، ينفعل بها ويتأثر لها ومنها .

فلقد سجل الشعر الحياة . كل الحياة ، حلوها ومرها وما بينهما ، ثار وعصف وبكى واستبكى وشكى والتاع وعطف وهزج ورقص بل واستعطى واستجدى . . . الى آخر أغراض الشعر وفنونه كما يلذ لدارسيه وشراحه ان يسموها .

والشعر العربي ، ككل فنون الشعر في أرجاء عالمنا

الفسيح ، له وعليه . فأنت اذ تجد الاصالة والصدق والعمق في الاداء والدقة في التصوير والسعة في الخيال والنغم الراقص أو الحالم تجد - ايضاً - تفاهة الغرض وضحالة الفكرة وركة الاسلوب وهبوط الذوق . كما تجد نوعا آخر بين هذه وتلك . ودارس الشعر . بله قارئه . يحس بكل هذا ويتأثر به ومنه ، فالحقيقة تنبىء ان في شعرنا العربي قمماً شوامخ كما ان فيه نتوءات قزمة . فيه سمفونيات حالمة وانغام معطاء كما ان فيه أنين عليل وحشرجة فانٍ . وهو في رائعه المشرق وتافهه الكابي يكون حصيلة الشعر ويسجل تأريخ تطوره .

ولئن تفنن القريض أنواعا وأشكالا وهو يسجل تجارب الحياة فان الشعر الشعبي هو الآخر تفنن أنواعاً وهو يعيش تلك التجارب ذاتها وانفعل بها وتأثر . . . ثم ، تطور مع ركب التطور وان اختلفت درجات مواكبته تلك .

وحقا أقول انني عندما قرأت الشعر الشعبي وجدته لا يستهويني فحسب بل يهزني بعنف ويملأ نفسي وقلبي ووجداني لا

سيما اللون العاطفي منه . واللـون العاطفـي من الشعـر الشعبـي العراقي شعر ولا كسائـر نمـاذج الشعـر ، شعـر أصيل العاطفـة صادقها عنيف الزخم خصب الأداء معطاء ملهم وهو ينبعث من طبيعة نقية سمحة ويستلهم الكلمة من مجالي الحياة البكر الساذجة لكنه يشحنها دفقات شعـور صادق واحسـاس اصيل واخـلاص عاطفي لا يحاكي التجربة بل يعيشها ولا يصور المشاعر بل هو ذاته يكون تلك المشاعر .

وحديث صدق الشعور واصالة العاطفة في الشعر الشعبي العراقي حديث خصـب غنـي معطـاء . والتـراث الـذي خلفـه الشعراء ضخم بقدر ما هو عبـق ، كبـير بقـدر ما هو ساحـر . ومتذوق حديث العامة ولهجتهـا يجـد فيه ما قد لا يجـده متـذوق الفصيح في شعــر الفحــول والنوابــغ . . . ذلك لان فيه ميزة وسمة . . . أو على وجه الدقة فيه « نكهة » عطرة عبقة قد لا نجد نظيرها في الكثير من روائع القصيد الموروث والمعاصر .

ولعمري لقد كان للحرمان العاطفي فضل ـ ان صح ان له

فضلا ـ كبير في زرع هذه الاصص المضوعة من شعر الوجد العامي .

فدارسه لا يكاد يتلمس مدى الحرمان ذاك وحسب . . . بل انه يكتوي به ويحترق بلهيبه .

ان لهثات النفوس الصبة وخفقات القلوب العاشقة وآمال الوله المحبين والمتيمين الملتاعين تنفعل بصدق أصيل واصالة صادقة في آنية الورد الصحراوي ، أطر شعرنا الشعبي العراقي .

وقد ضمن الشعر الشعبي الكثير من المعاني التي طرقها القريض وحاكاه في أكثر من لون من ألوانه المتعددة المتنوعة .

والقريض ايضا استفاد ـ هو الآخر ـ من (الشعبي) وضمن معانيه التي سجلها بصدق وفن وجمال .

وقد سجل الاستاذ عبد الكريم العلاف في كتابه (الطرب عند العرب)[1] امثلة متنوعة على تضمين الشعر الشعبي للمعاني التي طرقها القريض من ذلك قول الشاعر الشعبي :

---

(١) عبد الكريم العلاف ـ الطرب عند العرب ـ الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص : ٢١٦ ، ٢١٧ .

يا ولفـيْ ما نَســاكيشْ لِمكَركَعْ الخام[٢]
عالكَبــر لو مَريتْ أتحــركْ اِعظامْ

من قول (توبة بن الحمير) صاحب ليلى الأخيلية :

ولــو ان ليلى الأخيلية سلمت
عليَّ ودونــي جنــدل وصفائح
لسلمــت تســليم البشاشــة اورقا
اليهــا صدى من داخـل القبــر صائح

وقولهم :

رَضــرضْ[٣] جَميعْ اِعضــايْ إمرّخَصْ عليهــــــــــــــهَ
بَس لا تِدش[٤] بالروح جيف[٥] إننه بيهــــــــــــهَ

من المعنى الذي طرقه (مجبر الدين بن تميم) في قوله :

---

(٢) ما انساكيش ـ لن انساك . امكَركَع الخام ـ الكفن .
(٣) رضرض ـ من رض العظام
(٤) تدش ـ تدخل
(٥) جيف ـ لأن

يا محرقاً بالنـار وجـه محبه

مهـلاً فان مدامعـي تطفيه

احـرق بهـا جسـدي وكل جوارحي

واحـذر على قلبـي لأنـك فيه »

ومن شعر الشاعر عبد الكريم العلاف قوله :

الأرضْ كلها ارواح خَفـفْ مَشيتـك

حتـى عـلـى الميتين عَمـت أذيتـك

مضمنا معنى بيت (المعري) :

خفف الوطـأ ما أظـن أديم الارض الا من هذه الأجساد

أو معنى قول الخيام الذي ترجمه الشاعر أحمد رامي بـ :

فامش الهوينـا ان هذا الثرى من اعـين ناعسـة الاحورار

وقوله :

لـو سهـمْ واحد چّان يمكـن أرِدَّه

لاچِن ثلاثـة إسهام يـا هـو الأصِدّه

من قول الشاعر :

ولـو ان رمحـاً واحـداً لاتقيته ولكنـه رمـح وثـان وثالث

وفي شعـر (الأبـوذية) نمـاذج كثـيرة ضمنـت القـريض واقتبست معانيه مثل :

روحي ابسگم ونياحه[6] سِلَوهَه احباب اللي يودوهـه سِلوهَـه
(سلمه)لوظفـر توهـه سلُوهَه[(٧)] بيامذهـب تحـل ادمـاي هيه

من قول الشاعر :

فلاتقتلوهـاان ظفرتـم بقتلها ولكن سلوهاكيف حل لهادمي

ومثل :

دليلي من زغـر يَدعيّ[(٨)] وهابك
كَضيّتْ العُمـر ها حَسرة وهابك

---

(٦) سگم ونياحه ـ سقم وضنى
(٧) سلوهه الاولى أذوها وانحلوها والثانية نسوها والثالثة اسألوها .
(٨) ادعي ـ اصلها (ادعج) لانهم يقلبون الجيم ياء ومعناها احور العين

أنا من الـگاك أريد أححـي وهابك[٩]

واگول يعـود وأحجيلـه الشجّيه

من :

القـاه بالشـكوٰى فأسـكت هيبة

وأقـول ان عدنـا فسـوف أقول

ومثل :

نِحـل جِسمـي أوزاد اليوم مَرضايْ

علي اللي ما شِفتلْـه شَخص مُرضاي

التَرف لوبات وسَطْحْشِايْ مَرضاى[١٠]

گَلتلـه أكَرب يهَـلْ مِبـعدْ عَلّيه

من :

(٩) وهابك ـ الاولى بمعنى وها ، بك والثانية الأنة من الأنين والبكاء والثالثة ، أحترمك .

(١٠) مرضـاي ـ الاولى ، مرضي والثـانية (ندلـهُ يرضيـني) والثالثـة (لـم أرض) .

ولـو بات من أهـواه وســط حشاشتي

لقلــت ادن منــي أيهــا المتباعد

ومثل :

يهَــلْ ساچــن مُهجتــي ونِتَــه بيهْ

المحاســن تِسلمنَــكْ ونَتــه بيهه

لا تحِــرج چبدتي وإنتــه بِيهه[11]

وخــاف من اللَهيبْ اِتجيكْ أذيّهِ

من :

يا محرقــا بالنــار وجــه محبه

مهــلا فان مدامعــي تطفيه

احــرق بهــا جســدي وكل جوارحي

واحــذر على قلبــي لأنــك فيه

ومثل :

---

(١١) ونته بيهه ـ الاولى تأن بها والثانية انت ابوها والثالثة انت فيها

حبيبـــي لا تظـــن الدهـــر سرَنْه
هِجرنـــه ديارنه أو للغـــرُبْ سرِنه
وحـــكَك ماظهر للنـــاس سرِنهْ[١٢]
لجِـــن دَمعي فُضَحنـــي أو عم عليَّهَ

من :

اخفي محبتكم كي لا ينمّ بنا واشٍ ولكن دمع العين يفضحني

ومثل :

اهـــلا يا نسيم الـــريح يا الماس
علـى الشَبهوْ خديدك ورد يـالماس[١٣]
سجيت[١٤] الـــورد يذبـــل حين يلماس[١٥]
وذا مهما تِقبلـه احتمـر ميه [١٦]

---

(١٢) سرنه ـ الاولى ابهجنا والثانية مشينا والثالثة السر
(١٣) الماس ـ الأولى الذي يميس أي يتغنج والثانية الحجر الكريم
(١٤) السجية ـ الطبع او السلوك .
(١٥) يلماس ـ يلمس او يمسك .
(١٦) احتمر ميه ـ صار ماؤه احمراً .

من :

وظبـي شبهـوا خديه وردا لقـد اثمـوا بمـا قد شبهوه
لأن الـورد يذبـل عنـد لمس وذا يحمـر مهما قبلوه

وهناك معان كثيرة استقاها القريض من الشعبي . من ذلك تجربة أدبية رواها أديب مصري كان مع شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم في نزهة نيلية وقد سمعا ملاحا يغني :

والفرش حيـران بهـم بالليـل مـا نـامـوا

قـال الاديب « . . . فارتـج شاعـر النيل من (والفـرش حيران بهم) هذه ورأى من فوره ان هذا المعنى البديع ينبغي ان ينظم في شعر العرب فنظم بيته المأثور :

حار الفـراش بنـا ممـا نكابده
وضاق صدر الليالي عن تشكينا[17]

(١٧) الاستاذ محمد بهجت الاثري : مقدمة الجزء الاول من ديوان الكرخي الطبعة الثانية : الصحيفتين ص و ل .

والنماذج الدالـة على تأثـر الشعبـي بالقـريض والقـــريض بالشعبي لا يحصرها عد بل ان بعض شعراء الشعبي من سكنـة المدن كتبوا شعرا يعقبون فيه على القريض ويناقشونه . مـن ذلـك - مثلا - ان (احدهم) ذهب الـى ان في قول الوشـاح الـكبير الشيخ الشاعر محمد سعيد الحبوبي :

فاسقني كاسا وخذ كأسا اليك
فلـــذيذ العيش ان نشتركا

أنانية لا ترتضيها شرائع العشق والصبابة فأن الكأس الأولى لحبيب القلب لا للمحب المولـه ولذلك قال :

اِتهنَـــهْ بأول كـاس والـثـانـــي لَيـــه
يَشكَر لذيِذ الـعَـيْشْ نـشـــرب ســـويـــه

ولأمـر ما لعلـه الحرمـان العاطفـي والتقـاليد الموغلـــة في التزمت ، بل هو ذاك فعلا وجدت لهيب العواطف الصبة ينسكب في اهاب الشعر الشعبي يقوله الرجل المتيم كما تنفثه المرأة العاشقة سواء بسواء ، وتلك وسيلة لا تخضع لسيطرة القيود ولا لتزمـت

التقاليد . فالشعر الشعبي يقال ويسمع ويحفظ ويردد ويتداول ونادرا ما عرف اسم قائله أو قائلته . وهكذا تتسربل العاطفة في كل زمان ومكان بأزر تناسب ما تفرضه الحياة من قيم واعتبارات .

ولئن أُرخ القريض ودُرسَ وبُحث فقد ظل الشعر الشعبي يفتقر الى من يعنى به . . . لقد وجد ونما وشذا عطره وانعش اريجه النفوس وسماعه وحفظته ومنشدوه يهمهم ـ هو ذاته ـ لا تأريخه ولا تراجم قائليه ، وذلك جانب مفتقد حقا وعسى ان لا يظل كذلك .

ومهما يكن من أمر فقد عبر الشعبي عن عواطف السواد الأعظم من بسطاء الناس وترجم احاسيسهم ومشاعرهم بصدق واصالة مبدعة ، ذلك لانه مخاض تجربة حياتية معمقة لا يداخلها الزيف .

يقول (هويتمان) ان « الادب الشعبي ينبعث من اعمال أجيال عديدة من البشرية ، من ضرورات حياتها وعلاقاتها . من

أفراحها وأحزانها ، واما أساسه العريض فقريب من الارض التي تشقها الفؤوس . واما شكله النهائي فمن وضع الجماهير المغمورة المجهولة ، اولئك الذين يعيشون لصق الواقع »[١٨] .

ويذهب الاستاذ احمد رشدي صالح في كتابه (الادب الشعبي) الى ان « الآداب الشعبية التقليدية تتلاقى في سمات اربع رئيسية وتمتاز بها على آداب الفصيحات ، تلك هي : العراقة والواقعية والجماعية والتداخل مع فروع المعارف والفنون الشعبية الأخرى »[١٩] .

ولذلك احتلت ـ الآداب الشعبية ، والشعر الشعبي من ابرزها مكان الصدارة في نفوس الجماهير ، قراءا وسماعا .

ولست هنا باحثا عن أصل العامية أو الدارجة ونشأتها فهناك آراء كثيرة قديمة وجديدة في هذا المضمار .

*

---

(١٨) احمد رشدي صالح ـ الادب الشعبي ـ الجزء الاول ص ٩

(١٩) نفس المصدر ـ ص ـ ١٠ .

فابن خلدون يرى انه « لما جاء الاسلام وفارق العرب الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت الملكة (ملكة الفصحى لغة مصر) بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين ، والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع »[٢٠] .

ويؤيد المستشرق (كارلو لندبرج) هذا الرأي ويذهب الى انه « منذ هاجر المسلمون اراضي الحجاز المقدسة لاجل انتشارهم بين أمم مختلفة ولغات غير متحالفة ، التزموا بأن يغيروا لغتهم الحجازية بعض الشيء وان يمضوا في مباشرة أمم تلك الأقطار ومكالمتهم بحسب طريقتهم الغريزية »[٢١] . ويرى انه « من السهل علينا ان نبرهن بأن اللغة الدارجة كانت مستعملة في القرن الاول للهجرة بل يمكن ايراد ادلة كافية وبينات شافية بأنها كانت

---

(٢٠) عن المصدر السابق ص (٢٤) .
(٢١) نفس المصدر والصفحة .

سارية في زمان النبي عليه السلام »[٢٢] .

ويبدو ان لعملية الفتح العربي الأثر الكبير في جنوح العربية نحو العامية نتيجة اختلاط الفاتحين بالأمم المغلوبة من غير العرب واتصالهم بهم .

يقول ـ يوهان فك ـ « حقا لم يكن ممكنا ان يبقى حد فاصل بين الفاتحين العرب والمغلوبين على أمرهم من غير العرب قائما على الدوام » ويذهب الى ان تلك الطائفة التي كانت تلحق بكل جيش عربي من غير العرب ، من العبيد والخدم والطهاة الذين كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد ، كانت تخلق مشكلة لغوية غير هينة[٢٣] .

ويرى ان احتكاك الملاك الجدد بأهل الأمصار المفتوحة واحتكاك التجار والعبيد والخدم بالجيوش العربية التي تأسر العدد

---

(٢٢) نفس المصدر ، ص : ٧

(٢٣) يوهان فك : العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : ترجمة الدكتور عبد الحميد النجار ـ ص ـ ١٠ .

الكبير من غير العرب جعل العـربية تلقـى « تغـيرات هدهـدت بالمسـخ صورة وقعهـا وجرسهـا وطبيعـة تكوينهــا وتركيبهــا في الصميم »[٢٤] ويؤكد ان العربية الدارجة « نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعـوب التـي اخضعوهـا فصـارت لغـة التخاطـب والتفاهم والتي تتميز تمييزا واضحا عن العربية الفصحى بطائفـة من السمات والخصائص المشتركة بينهما في المادة الصوتية وصوغ القوالب وتركيب الجمل والقواعد النحوية والمادة اللغوية وطرائف التعبير »[٢٥] .

ويذهب (أدوارد وليام لين) في مقدمة « مد القامـوس » الى ان عاميات الامصار العربية ما لبثت ان غزت صحراء العرب فأصبحت بالتدريج اللغة الجارية في صحراء وحواضر وقرى بلاد العرب نفسها »[٢٦] .

وقد جاء في أخبار الوليد بن يزيد الاموي ان حمادا الراوية

---

(٢٤) المصدر السابق ـ ص ـ ٢١ .
(٢٥) المصدر السابق ـ ص ١٠٢ ـ
(٢٦) الجزء الاول من الادب الشعبي لاحمد رشدي صالح ص ـ ٢٧ .

قال جادا أو هازلا : انا رجل اكلم العامة واتكلم بكلامها : وقال ابو العتاهية : كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم فقال :«قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه »[٢٧] .

ومن هنا يتبين لنا ان اللغة العربية « شفيعة التعبير » وهناك من يرى انها كذلك منذ كانت « لان فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابة ملتزمة بضوابط الاعراب وأخرى يقولها الناس ويستعملونها دون ان يلزموا انفسهم بعناء هذه الضوابط وربما تعدى الأمر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها فقد يكون في الفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب انفسهم بغيرهم من الأقوام والاتصال حاصل في كل عصر فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهيأ لهم ان يتاخموا أقواما غيرهم فلم

---

(٢٧) الدكتور مصطفى جواد ـ الشعر العامي العراقي القديم ـ مقال في العدد الاول من مجلة التراث الشعبي وهو عن ـ الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الكتب المصرية . ص ـ ١٦ : ١٨ و ٥ : ١٥٧ .

تسلم بذلك سليقتهم »[٢٨] .

وبقدر ما يتعلق الامر بالعامية العراقية فالواقع ان العراق يتكلـم عدة لهجـات عامية تتفـق مرة وتختلف أخـرى الى درجـة يصعب معها على قروي الجنوب من سكنة الأهوار مثلا ادراك ما يتكلمه عربي قرى الشمال والعكس صحيح . ويذهب الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي الى أن « اللهجة الحضرية الشائعـة في العراق لم تتغير كثيرا عما كانت عليه في المئتين السابعة والثامنة . فهذه اللهجة المحكية الآن قديمة وهي تخالف أمها الفصحى في كثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها ونغمتها وجرسها وما الى ذلك » .

ويقـول « مضـت على العـراقيين اجيال عديدة وهـم يتخاطبون بلهجتهم المحكية الشائعة الآن أو بلهجة شبيهة بها جدا وهـذه اللهجـة الشائعـة اليوم احـدى عدة لهجـات انشقـت عن الفصحى فتعددت واختلفت باختلاف البلـدان فلهجـة العـراق

---

(٢٨) الدكتور ابراهيم السامرائي ـ دراسـات في اللغـة ـ بغـداد ١٩٦١ ص ـ ١٧ .

الشائعة الآن غير لهجة الشام ولهجة الشام غير لهجة مصر ولهجة مصر غير لهجة المغرب الاقصى ولهجة البدو غير لهجة الحضر في هذه الاقطار كلها » .

ويعزى هذا الى « تعاقب الدول والى ما يترتب على ذلك من تبدل في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية ، ثم الى اختلاط الشعوب وامتزاج بعضها ببعض والى تأثير الزمان والمكان والبيئة ، الى هذه العوامل مرد تولد اللهجات المحكية في الاقطار العربية »[٢٩] .

« ولما استولى المغول على العراق في أوائل النصف الثاني من المئة السابعة ودخلوا بغداد فانقرضت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ للهجرة وظهرت الدولة الايلخانية التي حكمت فارس والعراق ثمانين سنة أو نحو ذلك وفي عصر الانقلاب المغولي هذا تغيرت أشياء كثيرة ، تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات وكان

---

(٢٩) محمد رضا الشبيبي ـ اصول الفاظ اللهجة العراقية ـ الطبعة الاولى ١٩٥٦ ص ـ ٥ ـ و١٢ .

نصيب لغة العراقيين من التغيير والتأثر في الانقلاب المذكور نصيبا موفورا فقد تسرب اليها كثير من المفردات والمركبات والمواد والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية وغيرها من اللغات .

ولنا ان نقول استنادا الى الاساليب التي اتبعها بعض مؤرخي العصر المذكور وأدبائه وغيرهم في التأليف : ان لهجة جديدة ولدت في العراق وهي اللهجة الشائعة الآن على ألسنة العراقيين أو شبيهة بها .

وقد نقرأ صفحة أو صفحتين من بعض الكتب التي وضعت في عصر المغول فيخيل الينا انها كتبت باللهجة الشائعة في عصرنا هذا .

والأمثلة على ذلك كثيرة في تلك المصنفات . ومن ذلك يستفاد ان لهجتنا الشائعة اليوم ، أو لهجة جمهور العراقيين المحكية الآن كانت دائرة على ألسنة أسلافهم القدماء نحوا من سبع مئة

سنة خلافا لما يظنه كثير من الناس الذين يتوهمون ان هذه اللهجة اللغوية الشائعة الآن في العراق ليست لهجة قديمة »[٣٠] .

والشعر الشعبي موضوع البحث . ولد في الريف العراقي وفي بيئته نشأ ونما وترعرع وبلهجة الريف المحكية نطق ومن ألفاظها ارتشف وبجرسها ترنم « ولا يعرف بالضبط تأريخه ولكن المؤكد انه ما وجد في الجاهلية أو في صدر الاسلام وكل ما يعرف انه انتشر في زمن الدولة العباسية كما لا يعرف بالتأكيد أول من نظم هذا الشعر واستعمله »[٣١] .

والشعراء الذين عنوا بهذا اللون من الشعر وأتقنوه ـ فناً ـ وحافظوا على لهجته الريفية الصميمة هم من « أهالي الحسكة وهي قرية تقع قرب لواء الديوانية سكنها أعلام من شعراء الفصحى والدارجة وانتشر عنها الى الاطراف المجاورة كالديوانية والرميثة

---

(٣٠) محمد رضا الشبيبي ـ أصول الفاظ اللهجة العراقية ـ ص ـ ١٠

(٣١) عبد الجبار فارس ـ عامان في الفرات الاوسط ـ ص ١٣٥ .

وما جاورهما من الجهات الاخرى »[٣٢] .

لكن الثابت انه قيل في كل ارياف العراق من شماله حتى الجنوب واتسم في كل منطقة من مناطقه بسمة خاصة به و« ميزة » تميزه عن شعر المناطق الريفية الاخرى فالشعر الشعبي في الجنوب العراقي يتميز عما هو عليه في الوسط أو الشمال وان جمعت بين « فنونه » قواعد النظم والصفة الشعبية المشتركة .

اما سبب اقتصاره على طبقة اجتماعية معينة وعدم ذيوعه وانتشاره بين مختلف المستويات الثقافية فسبب ذلك ـ كما أرى ـ نظرة البعض الخاصة الى « اللغة العامية » كوسيلة للأداء الشعري من جهة ومن الجهة الاخرى ذلك المفهوم الذي يطلق صفة « الشعبي » على كل ما هو دون مستوى معين يرسم حدوده .

فهو يسمى « الفكرة » و« الغذاء » و« الثوب » ... الخ بـ « الشعبية أو الشعبي » ويريد بذلك كون كل منهم لم

---

(٣٢) علي الخاقاني ـ فنون الادب الشعبي ـ الجزء الاول ـ بغداد ١٩٦٢ ـ ص ـ ١٧ .

يبلغ ذلك المستوى الذي رسمه لشكله أو لمضمونه أو نوعه .
ولكن ثمة سؤال يطرح نفسه في هذا المجال :

ترى ، هل يصح تعميم ذلك المفهوم على الآداب ؟ وهل ان الادب الشعبي هو اللون الادبي الذي يتصف بالضعف والهبوط الذوقي الذي يفقده سمة الادب الرفيع ؟

. . . الواقع يؤكد ان الجواب ، جازما ، بـ « لا » فهو في كل مقوماته الادبية فكرة وصورة وخيالا وعاطفة يتسم بما يتسم به الادب بشكله العام ، جيده جيد ورديئه رديء . اما بقدر ما يتعلق الامر بلغته العامية فتلك ظاهرة فرضتها ظروف حياتية لا قبل لنا بتغييرها وهي ـ بحد ذاتها ـ لا تفتقد الاداء الصادق والصورة الجميلة والتشبيه الرائع والحس الأصيل . هذا اذا اعتبرنا ان « الادب الشعبي » هو الادب المكتوب باللغة العامية بشكل مطلق وتلك مسألة فيها أكثر من وجه من وجوه الرأي .

من ذلك ان الكثير من روائع الادب العالمي الباقية على الزمن استقت مادتها من اقاصيص الشعب وأساطيره ولعل في

« الالياذة والشاهنامة والف ليلة وليلة وغيرها كثير » خير دليل على ذلك .

فهي كتب شعبية سجلت صوت الشعب وصداه وعبـرت عن نزعاته ونزواته ومشاعـره ونفسيتـه . وفي ذلك سر خلودهـا وعنوان عظمتها فقد ربطـت بينهـا وبـين سواد الشعـب وشائـج الانسانية الخالدة .

وواضح انني هنا لا أنتصر للعامية ولا أدعو لها انما كل الذي أهدف اليه هو ان اسجل مجالي الابداع الاصيل والاصالة المبدعة في شعر العاطفة الشعبي لانه يضيء زاوية هامة في حياتنا العراقية ويجسد واقعا حكايته على كل شفة ورفيفه في كل قلب .



صدق واصالة الشعر الشعبي

« هزني الهـوه بكل حيله لـن شاعـر مسويني »

يضع دارسو الشعر الشعبي العراقي وشراحه فنونه تحت عناوين تنظمها حسب انواعها بالنسبة لفن الشعر وقواعد نظمه .

واذا كان للقريض أنواعه كالمقاصير والاراجيز والموشحات والملاحم وما اليها ، ولئن عرفت له بحور شعرية عديدة كالبسيط والكامل والطويل والمديد والمجتث والوافر والرمل والهزج والمتقارب والسريع والرجز . . الخ . ففي الشعبي نجد ـ كذلك ـ أنواعا كثيرة ولبعضها فروع ولهذه فروع أخر تنتظمها أصول الفن وقواعد الشعر وطرائق نظمه .

ومن أنواع الشعر الشعبي العراقي .

« الموال ـ أو الزهيري ـ وهو على خمسة اشطر وسبعة

وتسعة . . . الـخ . وقاعدتـه اذا كان خمـاسيا ان يكون الشطـران الاولان من قافية واحدة مع اختلاف في المعنى ويكون الشطران الثالث والرابع من قافية أخرى مع اختلاف في المعنـى كذلك ، ويلي ذلك الشطـر الخـامس وقافيتـه يجـب ان تكون من قافية الشطرين الاولين مع اختلاف في المعنى أيضا .

واذا كان سباعيا اتحدت الثلاثة أشطر الاولى بقافية واحدة وهكذا الثلاثة اشطر الاخرى فانها تتحد بقافية ثانية وترجع قافية الشطر السابع الى قوافي الثلاثة اشطر الاولى مع اختلاف في المعنى وهكذا . وقد كان معروفا منذ عصر الرشيد .

والأبوذية ـ وبحرها الوافر وتتكون من أربعة اشطر ثلاثـة منها متحدة القافية مختلفة في المعنى والشطر الرابع يختم بياء مشددة وهاء مهملة .

والميمر ـ وهو كالابوذية الا ان الشطر الرابع منه يختم بقافية رائية . ومن أنواعه (المذيل) .

والغنــاء ـ وهــو على أنــواع مختلفــة متباينــة في شكلهــا الشعري .

والهوسة ـ وتتكون اما من شطر واحد أو من ثلاثة اشطر بقافية واحدة تختتم بشطر رابع هو (الهوسة) .

والعتابة ـ وهي كالأبوذية ـ أيضـا ـ غـير ان قافية الشطـر الرابع تختتم بياء مخففة أو بألف مقصورة وبحرها الوافر .

والمربع ـ وهو على أبحر كثيرة كالقريض ويتكون من اربعة اشطر ثلاثة منها على قافية واحدة والرابع على قافية المستهل [1] .

ومن أصنافه الموشح وچلمة ونص والتجليبة والبسيط والنعى والنصارى . والململع ـ وهو أحد الانواع المجددة للشعر الشعبي ـ يتبع في الغالب الوزن الذي يجاريه وأول ما ظهر منه مشاركة الفصيح للعامي في بيت واحد حيث يكون الصدر قريضا والعجز زجلا أو بالعكس .

---

(١) السيد عبد الرزاق الحسني ـ الاغاني الشعبية ـ الجزء الاول ـ عام ١٩٢٩ ـ ص ـ ٣٢ و ٣٣ .

ومن أنواع الشعر الشعبي المغنى « النايل » وهو من وزن الموال . «ومنه أيضا ما يعرف بـ (الركباني) وينظم شطره الاول من قافية والثاني من قافية أخرى وقد أكثر فيه الشعراء القول ونوّعوا فيه »[٢] . ومن شعر الموال ـ مثلا ـ قولهم :

فَتّتْ دليلي يَعِذّالْ الهوه شامتِه
تحي نُفوس النِحيلَه وبالوجن شامِتَه
عني جفَلْ صاحِبي وبيّه العِدة شامِتَه[٣]

وهَمكْ يصَاحبْ چتلني وبس الي فاتِني
ويوم الجِفه سَلني ويوم الطَرب فاتَني
وياك مَدريتْ بالواشي يجي وفاتِني[٤]

والبيه شَهامه تجيه الصاحبه شامته[٥]

---

(٢) علي الخاقاني ـ فنون الادب الشعبي ـ الجزء الاول ص ـ ٨١ . الجزء الثاني ص ـ ٤٧ . الجزء الثالث ص ـ ٤٥،٣ .
(٣) شامته ـ الشامة ـ أي الخال والثانية شم وجنات الحبيب والثالثة من الشماته .
(٤) فاتني ـ الاولى بمعنى أضناني واذاني والثانية ضياع الفرصة والثالثة الواشي النمام .
(٥) شامته ـ شيمته وشهامته .

وواضح ان المعنى في كلمتي « شامته وفاتني » يتغير في كل شطر من أشطر الموال كما هو موضح في الهامش .

ومن نماذجه الجميلة أيضا :

تميت أحوم اعله شوفك بس اروحن وَرِدِ
أبغي وصالك وروم من المراشف وِرِدِ
نص ذچرك علينه ابكل فريضة وِرِدِ[٦]
من حَيثْ بِسمكْ تتم اِفروضنه والدعا
رَضوان حسن الحواري ابو جنتك ودعا
الورد قَدَّمْ لِوايح واشتكى وادعا[٧]

نه الوَرد واشلون تشتم وَرد

عنى في كلمتي (ورد وادعا) - كذلك يتغير أيضا بالنسبه الى كل شطر من أبيات الموال .

---

(٦) ورد - الاولى بمعنى ارجع والثانية استقاء الماء والثالثة الدعاء الذي يقرأ بعد الصلاة .

(٧) الدعا - الاولى ، الدعاء والثانية اودعه والثالثة ادعى - اي اشتكى

ومن أبيات الأبوذية الجميلة قولهم :

نوحـــي صار إلي سلـــوه وملها
ودلِيلي جزع من روحـــي وملها
أهـــيْ بالغرغـــرة تعالـــج وملها[8]
بوصلـــه أو لا تبـــالي بالمنّية

وقد اعطت كلمة (أملها) كذلك معنى مغايراً في كل شطر من (الأبوذية) .

وقولهم :

سناهـــا للبـــدر يشبـــه وسَنها
عقيق وبـــرد بشفاهـــا وسِنها
اود عينـــي بسبـــب عافـــت وسَنها[9]
والـــوم على العـــگل چي ثبـــت لّيه

---

(٨) ملها ـ الاولى ملهاة من اللهو والثانية ، الملل ، والثالثة ، الامل .

(٩) وسنها ـ الاولى بمعنى سنة او طريقة او دأب اي ان دأب من يهوى كدأب البدر سواء بسواء والثانية سن حبيبته والثالثة الوسن اي النعاس .

وينطبق على كلمة (وسنها) هنا ما اعطته الكلمة المكررة من معان في النماذج السابقة .

ومن شعر (الميمر) قولهم :

طلعت تسيرّ[١٠] والزلف كَام الهه[١١]

من سلمت كل السَلفْ[١٢] كَام الهه[١٣]

الشمس تسجد والكَمر كَام الهه

واسهيل جاها من الفجريتجرجر[١٤]

اما (الغناء) فهو مثل :

كَلتلها تتحَنّين بِجْفاچ اِليه ؟

كَالت مِسحت العين وأثر بديه

---

(١٠) تسير - تزور .

(١١) كَام الهه - بطول قامتها

(١٢) السلف - الحي او مجموعة السكن في الريف

(١٣) كَام الهه - هنا ، بمعنى وقف معجبا بها .

(١٤) أي ان القمر هو الاخر وقف لها اعجابا واسهيل - نجم السهيل جاءها يتجرجر - أي يمشي اهوينا .

ومن شعر (الهوسة) قولهم :

عَســه عُمــري كَضيت وياك وَليتْ
أو عكَب وصَــلك عليّ اجفــاك وَلّيتْ
وريت بيوم مد الظعــن وَلّيتْ[١٥]
(الموت أو لا صدك ساعة)

و(العتابة) مثل :

علامــك[١٦] يا (حبّيب) صاد عني
أو من كل الجوانــب صاد عني
يكلمــن هَدْ طــيره أو صاد عني[١٧]
وآنــا التيهــت طــيري بالضباب

و(المربع مثل) :

---

(١٥) وليت ـ الاولى بمعنى ادبر وذهب والثانية بمعنى جعلت الجفاء والياً علي والثالثة ليت للتمني . اما الظعن ـ فهو قافلة الرحيل .
(١٦) علامك ـ ما بك .
(١٧) صادعني ـ الاولى من الصدود والثانية من التصديع او التهديم والثالثة ، اصطاد بدلا مني .

المستهل :

عاشرتِهــا ولا ضكَت لذاتها
ولا كلــت تفــاح منِ وجناتها

المربع :

كَلبــي يهواهــا أو ذاب من الهَوه
وجسمي من كثر العشگ طاح أو هِوه
حيث تتمايل اذا هب الهَوه[18]
تشبــه اريام[19] الفلــه بلفتاتها[20]

اما (الململع) فهو مثل :

---

(١٨) الهوه - الاولى ، العشق والثانية ، هوى ، اي وقع والثالثة الهواء .
(١٩) اريام - جمع ريم وهو الضبى الابيض .
(٢٠) من قصيدة للشاعر حسن التنكچي ، عن ، علِي الخاقاني : فنون الادب الشعبي - الجزء الاول - ص - ٧٨ .

غادة كالبـدر تزهو جاعـدة[٢١] ابسـد الحنيه[٢٢]
« فرنـا طـرفي اليهـا » لنهـا وحـدة ابريبـصيـه[٢٣]

والنايل مثل :

لارسـل سـلامـي خفـي بـجنـاح الـخضـيري[٢٤]

ربيتـكـم مـن زغـر صـرتـو بخـت غـيري

ومنه أيضا :

گـالـو طـويلـه گـلـت جـاووش لـلـعـسـكـر
گـالـو گصيره گـلت يـكَضيبـة الـخـنجـر
گـالـو اصـفـيره گـلت الـزعـفـران إصفـر
گـالـو اسـميره گـلت يـا ريحـة الـعنبـر

---

(٢١) جاعدة ـ جالسة .
(٢٢) الحنية ـ هي كمية السعف والقصب التي تربط الى بعضها وتبث في الارض من جهة وتربط نهايتها السائبة الى كمية اخرى مثبتة في الارض من الجهة الاخرى وعلى هذه الحنايا ، يسقف البيت الريفي واصول الحنايا تعتبر متكأً للجالسين داخل البيت .
(٢٣) ابريبصية ـ الفتاة الشهباء الجميلة .
(٢٤) الخضيري ـ من انواع الطيور .

والركباني مثل قول الشاعر الشعبي . . .

«أستعـذب التعـذيب منـك شَهـد واعذبْ
بجفـاك عيشي ايطيب والوصـل بعـد أطيب
من عينـي ابـد ما اتغيب كَلبـي اِلك ملعب
وارتـاح يوم الـﮔاك باسـم ثغـر « هادي »

ومن الشعر الشعبي المغنى (التجليبة)[٢٥] مثل :

لجلبنـك يا يليلى ولايج بهـا الروح
من ونـي بچـن كلهـن بنـات الدوح
يلولـه المزعجـات من الليالي تلوح
ما چان الكَطـه عاف الـسكرى وطيبه

(٢٥) عبد الكريم العلاف ـ الطرب عند العرب ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٣ ص ٢٣٠ وما بعدها .

و :

لجلبنـــك يا ليلي ولـــو ياى او ياي
على الـــوادي بجيت أو حرميت الماي
انا من احچي يربعي شاهـدي وياي
اليچذبنـــي يجس كَلبـــي وأصاويبه

ومنه (الموليه) مثل :

تميت أناطـر[٢٦] حبيبـي للصبـــح ماجه
والدمـع منـي جِره فوگَ الوجـــن ماجه
يخَـديْذ ولِفـي ورد رمـان الـه ماجه[٢٧]
يِشبه سهيل الطِلَع يجدح[٢٨] بغبشيه[٢٩]

ومنه أيضا (الهلابة) مثل :

---

(٢٦) اناظر ـ انتظر
(٢٧) ماجه ـ الاولى بمعنى لم يأت والثانية موجة والثالثة يتموج
(٢٨) يجدح ـ يقدح .
(٢٩) الغبشية ـ الفجر .

هَلـه يا الـواردة يا أمّ الجِدايل
يمَحْلى الـكيشْ[٣٠] فوگ الـراس مايل
دونـچ لو تكَف لي النـاس حايل
لجـر السيـف واعمـلي طلابه

ومنه (الشبوملي) مثل :

عـالشـومـلـي أو عـالشومـلي نارك ولا جَنَّةْ هـلـي
يا ويـل ويـلـي مــن الترف گلبـه عليـه مـا يـرف
ثـاري العشـگ زحمـة وكلـف مـا يطـب بيـه اليبتـلـي

ومنه غناء البكرة مثل :

خبـب يمشي التـرف والنهـد مِنّـه زام
زريف ادعچ امهيچل[٣١] كامل الهندام

---

(٣٠) الكيش ـ نوع من غطاء الرأس .
(٣١) زريف ادعج امهيچل ـ من صفات الجمال .

يرمـي لو زركَ عينــه[٣٢] نبــل وسهام
من شفتــه يهالــوادم ركَد حيلي[٣٣]

ومنه غناء (الهلييه) مثل :

هلــه يا نور عينــي وي هـليـه
يغــالي من تمــر سلــم عليه
أخذنــي أو طــير بيه فوكَ ليفوكَ
أو ذبنــي ابمرتــع الغــزلان والنوكَ
حسافـه ياخـذج غـيري يا غرنوكَ[٣٤]
يلفــچ بالحضــن غَصــبـاً عَلَيّــه

هـذا والواقـع يدل على ان هذه الانـواع تعسر على العــد وتختلف وتتباين وتتنوع بشكل يصعب معه رسـم انواعهـا بدقـة تخضع لأصول وقواعد ثابتة .

---

(٣٢) زركَك عينه ـ ارسل نظره
(٣٣) ركَد حيلي ـ انهارت قواي
(٣٤) الغرنوكَ ـ الغرنوق في الاصل الشاب الابيض الجميل والشاعر هنا يشبه الانثى بالذكر .

ولست هنا محاولاً تقصي كل هذه الانواع في مظانها ، انما الذي يهمني منها هو صدقها واصالتها وكونها شعراً عشيقاً محضا . ان الشاعر العاطفي يبرر صيرورته شاعراً بقوله :

هَزنـــي الهَـــوى بكُل حيلَه
لـــنْ شـاعـــر مسّوينـي[٣٥]

ودراسة نتاج هؤلاء الذين « هزهـم الهـوى بكل حيلـه » دراسة تتجنب « الفيهقة » و « الحذلقة » توصلنا الى الغاية وتجعلنا

---

(٣٥) القصيدة كما اثبتها الاستاذ علي الخاقاني في الجزء الثالث من سلسلة ـ فنون الادب الشعبي ـ ص ـ ٧٤ ـ للشاعر الشعبي ملا منفي العبد العباس كما يلي : -

طـاب الشراب الليـلة صـب يـا نديـمي اسجينـي
كَلبـي انشـرح غنيـلـه او طار الوسـن مـن عينـي

***

صب يـا نديـمـي الـراحـة او غنـي باسـم محـبـوبـي
روحـي اصـبـحـت مرتـاحـة وتونـي نلـت مطلـوبـي
معنى الشـعـر ورواحـه لا مهنتـي ولا ثـوبـي
هـزني الهـوه بكـل حيله لـن شـاعـر مسوينـي

نتلمس عن كثب مدى ما حققه أو ـ حققته ـ شاعرنا وشاعرتنا الشعبية في ميدان الشعر العاطفي من ابداع واصالة قد يقف القريض في الكثير من مأثوراته أمامها دهشا معجبا .

ولا بد لي هنا من الاشارة الى أنني سأعرض نماذج لشعراء عدة قد أعرف قليلا منهم ولكنني لا أعرف أكثرهم ، وقد تتفاوت أزمانهم وقد تلتقي الا انني سأتغاضى عن ذلك كله لانني هنا أتنسم العطر لا أُشرّح الزهر ، وأكحل عيني بمرأى الورد لا أحلل ألوانه في المختبر .

لذلك سأحاول ان اعرضه كلاً لا ينفصل ، تشده الى بعضه خيوط هفهافة من نسيج العواطف الصبّة الحالمة .

والحرمان العاطفي ظل ـ خلال تجارب الشعراء الكثيرة عبر الآماد ـ المعين الذي منه ينهلون .

فهم يحبون من أول نظرة ويولهون ويهيمون . ويظلون يعانقون سراب الآمال في دروب ضبابية حالمة حتى اذا ما أشرقت

الشمس ووضح الدرب وتبدد الضباب لجأوا الى الشكاة والتوجع والأنين ، ثم كانت الحرقة والأسى والعذاب الجميل و . . . يولد الشعر . . . مخاض كل تلك الحيوات الزاخرة المعطاء .

وهكذا دائما تعيش التجربة الشعرية كل ارهاصات الزخم الانفعالي فتقوله شعرا يهز النفس ويغنيها ويحكي للناس حكاية الوجدنات المعذبة عذابات بقيت زاد العشاق طيلة مسيرة قافلة الوجد الطويل .

ان المتيمة العاشقة التي ظلت ضجيعة الكبت العاطفي زمنا طال وما أطل لها أمل ترنم حرقتها كلمة شاعرة هي لحن الحب وعنفوان الرغبة في اهاب العفوية الجميل .

لـــولـــه الأوده يكـون بلبـة احشاي
جاكَلت[٣٦] يامدلول[٣٧] إذنــه[٣٨] ليجـــــاى

---

(٣٦) جاكَلت ـ لقلت
(٣٧) المدلول ـ الحبيب
(٣٨) ادنه ـ تقرب .

لكنها لا تلبث ان تجنح لواقعها وتعيش حرمانها بعيدا عن المنى العذبة والأحلام المجنحة انها تقول :

يُربَى الهِرِشْ بِالْمايْ ويكَّتِلَه الماي
مثلي حياتي هواي[٣٩] گاتلني هواى[٤٠]

وتنساق ـ ككل موله ـ مع ذاتها تمني النفس تارة وتواسيها أخرى :

أرد انشد اليمشون احبابي وعداي
شلسبب هرشي يموت واصله بوسط ماي ؟

وتخرج ـ هي نفسها ـ بنتيجة لم يستنتج العشاق يوماً غيرها وهم يعانون حرمان الوصال . انهم العذول ، دائما وأبداً . لذلك فهي تجيب على التساؤل :

يالتسأل الماشين احبابي وعداي
هرشك نحر صدمات مو گصده الماي

---

(٣٩) هواي ـ حبيبي
(٤٠) هواى ـ غرامي ، عشقي .

وقد يكون هذا الفارس حلما ظلت تناجيه وقد تجسد هذا الحلم في اهاب انسان ربما لم يمس شغاف قلبه ما تعانيه من وجد وصبابة .

ان الشاعر الشعبي صادق الانفعال اصيل الدفقة الشعورية حين يقول:

آنــا من اشـــواف اهواى مِـجـبــل عـلـيـه
حيلِي يگَع للگَاع وتــمــوت اِدَيَّـــه

وحين يتساءل :

ليش من أشـــواف اهواي يـتـغـير الـلــون
والــدنية صفَــره تصير ويـتـمــاوج الـكــون

وحين تُقرِّع الشاعرة نفسها وتلومها لما ينتابها ساعة اللقـاء الجميل :

هم اِنتــي مثــل العين مگَــدر لــچ انهــاچ
شو كُلِّــچ اتكبُّين من يگبــل اهـــواچ

وحين تحسب العاشقة متيمها صريع وجد يعاني ما تعـانيه تعلل حركاتـه وسكناتـه حسـب ما تمليه عليهـا عواطفهـا المتأججة . . . انها تقول :

صَدْ لَيه وإختليّت عينـه اشـكبرها
مدري برضـه يو غيظ[41] منَـدل فَـسـرهـا[42]

ويؤلمها ان تجور شمس القيض على « خدود » قيسها وهو يجتث سنابل حقله فتقول :

ريت الشعـير يطير والـحنطـة دوده
ولفـي بشـمس الكَيظ[43] ذبـلـن خـدوده

وتشتد بها رغبة اللقاء وتعصف فتجنح الى الامنيات ، انها تتمنى ان تكون :

---

(٤١) يو غيظ ـ او غيظ ومعنى الشطر انها لا تدري اهو راضي أم مغتاظ .
(٤٢) فسرها ـ لا ادري ما الذي تعنيه
(٤٣) الكَيظ ـ الصيف .

« نجمـــة صبـــح » يهواي   وســكَط علـى غطاك
وبحجـــة البـــــــردان   اتـلفلـــف ويـــــــاك

لكنها تستدرك شططها وتداريه ـ وان كان احلاما وأماني ـ فتأتي بالمبرر والسبب ، انها تقول :

ما نمــت ربــع الليل   حَـلْقُــو المخَــــــــدَّه
والدمــع أصبــح سيل   للــركبــه حــــــــــدَّه

شطــط ومغــالاة . . . وهــكذا حامــل الهــوى ، دائما ، تعب ، يستخفه الطرب . انها تعقد على الحبيب كل آمالها وتضع بين يديه قلبها :

هاك ابــرهِ هاك الخيط   خــويــه ارد اكلفـــــــكْ
امشــگـــــك الدلال[44]   شلّــه[45] عْـلــى عِـرْفَـكْ

ثم تعود الى التمني فتقول :

---

(٤٤) الدلال ـ القلب
(٤٥) شله ـ خيطه ـ من الشلال وهو ضرب من الخياطة .

لو ما أخـاف الناس تتحـاچـه بِـيَّـه
لَصبـح أرض لهواي يسـحـك عـلـيَّـه

الا ان علقمية الانتظار للامل المرتجى تضنيها فتلهج بالشكوى :

سنتـين أتانـي هواى غَـير الـمِـجْبِـلاتْ
بالگصـه لاح الشيب واللـه البَـزر فاتْ

ويشتد بها اليأس فتداريه بآمال سرابية تدرك - هي ذاتها انها مجرد آمال . انها تقول :

عَمْـده أردْ أذرّي الروح بْـعـاصِف الـريـحْ
بلچـي عْلَ نِزْلْ هِواي مِنْ تُـصْـفُـنْ اطيـح

وحيث ان معاناة الوجد تجربة موجعة لا سيما وقد طال الانتظار ولما يزل الافق يفتقد بارقة الامل فقد ترجمت العاشقة هيامها ، وهي تحتضن حجر المطحنة الأصم .

مـا تنسمـعْ رحـاري بـس ايدي اتديـر

اطحن بگايا الروح موش اطحن شعير[٤٦]

ولذا فهي تغبط خلي البال الذي لم تعصف به لواعج العشق فتقول :

خي عونك[٤٧] بدنياك بفراشك اتبات
وعندك عگل[٤٨] لليل وتعده ساعات

وتتذكر الحساد والعذول فلا ترضى لنفسها موقف المندحر فما هي الا متيمة تحترق بأتون الحب المقدس ذي اللهب الذي ظل بردا وسلاما على العشاق . انها توصي قلبها :

يا گلبي ونْ بِهْدايْ[٤٩] لا تسمع اِعداي
أصبر واسفْه الروح لمَن يجي اهْواي

---

(٤٦) اي انها تطحن في رحاها بقايا روحها لا الشعير الذي يطحن في بعض الارياف لتهيئة خبز العائلة الفقيرة.

(٤٧) خي عونك ـ مرحى لك .

(٤٨) عگل ـ عقل

(٤٩) بهدايِ ـ بهدوء

وذات يوم ، لا أدري كيف ، تجد المتيمة حبيبها ..
يأتيها من حجب الغيب وجوزاء الامل ، فتعيش تجربة اللقاء
المنشود خصبة معطاء ، انها ترحب به مهللة مكبرة :

أهلاً وسهلاً بيك وَاكْثر بِالْويـاكْ
الكَلبْ كَبْل العين رَفْ أو تلگاك[50]

وتبرر تعلقها به ولهفتها عليه وولهها فيه فتقول :

ولفي وأغار عْلَيه من حضن أُمَّه
بگلبي وكَول بعيد چاوين[51] أضمه

وتعاتبه والهوى الجذلان يعصف بقلبها :

خليتني يهواي ريشه ابطن روج
وأبعد علَيه الكَيش[52] واتعبني الغوج

---

(٥٠) تلگاك ـ استقبلك
(٥١) چاوين ـ اذاً اين
(٥٢) الگيش ـ ما يقرب من شاطيء النهر حيث المياه أقل ارتفاعا الامر الذي يمكن السابح من الوقوف على الارض المغمورة .

وتشرح لصويحباتها حالتها وهواجسها في الدقائق التي سبقت اللقاء المرتجى . .

شفت الضوه من بْعيد گَلت احترگَنا
لَمَن وصلت البيت لَنْ ولفي عِدْنَا

وتتذكر معاناتها المرة وانتظارها الموجع لحبيبها الذي ظل لقاؤه أغلى أمانيها ، فتقول :

والله انترس[٥٣] ماعون صَبري وتِبَدّه[٥٤]
كل شيْ تِكرهَه الروح اليجزي حَدّه

وتستبد بها الغيرة وتتنازعها الشكوك عندما ترى نسوة الحي وقد احطن بحبيبها لشأن ما ، فلا تملك نفسها وتنفجر صائحة :

شو خاله مِلتماتْ كلچن على هواي
جبته برشيح العين[٥٥] ومراجف چلاى[٥٦]

---

(٥٣) انترس ـ امتلأ
(٥٤) تبده ـ انسكب ما فاض منه .
(٥٥) رشيح العين ـ الدموع .
(٥٦) مراجف چلايِ ـ چلاي اي الكلى ، والمقصود هنا ارهاصات احشائي .

وما ان تختلي به بعيدا عن فضول الحساد وعيون العذول حتى تذكره بعذابات الهوى ومرارة الانتظار الذي عانته وهي تتطلع الى الافق المجهول تحلم بفرصة العمر ، ساعة لقاء الحبيب . انها تقول له :

ليل الشِتَا يهوايْ اثنعش واثنين
كَضيته بالحسرات وبدَمعة العين

ولئن كان الشيء بالشيء يذكر فانها تنساق مع ذكرياتها تلك وتسأله :

خَليتني يهَواي للنجم راعي
عينك تبوك[٥٧] النوم لو مثلي واعي[٥٨]

وتستميله مؤكدة صدق حبها له وتعلقها به فتقول :

كون الگلب بي باب ينطَرْ[٥٩] واراويكْ[٦٠]

---

(٥٧) تبوكَ - تسرق .
(٥٨) واعي - يقظ .
(٥٩) ينطر - يفتح .
(٦٠) اراويك - اريك

چاگَلِـتْ عَفْيَه[٦١] اشلون دَم ولَحـم بيـكْ

ولكن المنى العذبة قصيرة المدى ، فما طال بالمحبين لقاء ولا صفت أجواؤهم من الغيوم ، والعذال والوشاة ، دائما وأبـدا ، عقبات صلدة في طريق قافلة الوداد الحالم .

. . . وهكذا كان . . . لقـاء جد قصير تلاه بعـاد ، بدأ بتعلـة وتبـرير لم يقنعهـا ، وهـل أكثـر احساسـا من قلـوب العشاق ؟ :

لا أرضـي عنـي تگوم لا أرضَـى تِگعِـدْ
لا أرضَى جـارِي تصير لا أرضَـى تِبعِـدْ

وتستعطف « الدنيا » وقد أحست انها أمام مأساة الفراق :

يا دِنيه نوب ألويچ نوب انتـي تِلـوينْ[٦٢]
أخـذينـي بـالمعـروف لـو ردِتـي تجفينْ

---

(٦١) عفيه ـ مرحي

(٦٢) اي مرة اصرعك يا دنيا واخرى انت التي تصرعينني .

وتتساءل وقد ثقلت عليها الهواجس وتوزعتها الشكوك :

زَرگَــه عيـون اهــــــواي مــو مِثــــل الأولْ
مَــدري بســحــر داووه مَــدري تِحَــــــــوَّلْ

وتقول :

يا گُتــر[63] بالدَلال خالي من العيوبْ
وبيا رِچـان[64] يصير جرح اليجــي النوب

ويوما فيوما يتبين لها ان « محنة فراق الحبيب » واقعة لا محالة . لكنها تتشبث تشبث الغريق بأعشاب الماء .

بَتْ[65] بَعَــدْ بالدلال يگطـع وَشِــــــدَّه
صاير جليل نصاف[66] الــروحــي عِنـــــده

---

(٦٣) كتر ـ جانب
(٦٤) رچان ـ مكان
(٦٥) بت ـ خيط
(٦٦) جليل ـ قليل

وتؤكد له صدق حبها وتعلقها به وتنفي عن نفسها تهمة تداولتها الألسن عن علاقاتها :

لا تْظِنْ بِحتْ بَاسْرارْ يَلّي اْتهَمِتْنِي
لاچِنْ[٦٧] دموع العين هِيَّه اْفضِحَتْنِي

وتؤكد له صادق حبها وشدة تعلقها به فتقول :

خي لا تظن فركَاك هَيِّنْ عَلَيَّه
كل ضلع صارت بيه مية شجيّة[٦٨]

وتقع الواقعة ، يهجرها الحبيب ـ لا أدري لماذا ـ مضيفا الى قصص الوجد والصبابة حلقة جديدة تفيض لوعة وأسى وعذاباً عشيقاً جميلا .

ويكون وقع المصاب عليها موجعاً مؤلما وبشكل يبعث أعمق الشجن ، انها تقول :

---

(٦٧) لاچن ـ لكن

(٦٨) مية شجية ـ مائة شكوى .

الدهــر كَص يمنــاي كَص يسرتــي البين[٦٩]
بَيشْ[٧٠] ألــزمْ[٧١] الدَلالْ بَيشْ أمســح العَينْ

وتتأسف بمرارة على ثقتها به واعتمادها عليه :

كُــل الأسف يا حيَفْ بِسْــمَــكْ تِنَــخَّــيتْ[٧٢]
بَعْــد الحِمِــلْ ما طاحْ[٧٣] مــنــي تِـبَــرِيَّــتْ

وتستغيث شاكية تستعدي الله على كل من اسهم في احداث الجفوة وفراق الحبيب :

اللــه عَلَــه كِلْمَــن گالْ والــلّــي تِعَــــــدَّى
مِن بَــينْ اِديَّه هواي مــايْ أو تِبَــــــدَّى

وتعاني مأساتها وقد أضناها الألم وناءت بثقل المصاب :

---

(٦٩) يمناي ويسراي ـ اليد اليمنى واليد اليسرى ، والبين ـ القدر

(٧٠) بيش ـ بأي شيء .

(٧١) الزم ـ امسك

(٧٢) تنخيت ـ من النخوة والمقصود هنا بأسمك ناديت

(٧٣) طاح ـ وقع .

خَلّوني ماشَةْ نـــارْ بِيد اليكِرْهُـــونْ
ويايه صار الصـــار بَعَدِ شَيرِيــدونْ

وعندما تحين ساعة الفراق، حيث لا لقاء بعد مع الحبيب، حتى ولو عن بعد، فقد قرر الرحيل، تناجيه شاكية مستعطفة:

يا لهِنـت روحـي عْلَيكْ رَيِّضْ[٧٤] لي أشوفكْ
لا بيه[٧٥] اصِدَّنْ ليكْ[٧٦] لا بِيَّه اعوفك

وتقول متضرعة:

بَت بعد بالـــدلال واتعكز عْلَيـــه
لا ينكَطع وأبـلاكْ يالحادي رُدْ بيـــ

وتتساءل:

الحادي وين يرِيـــدْ بالظَعن مهتَـــ

---

(٧٤) ريض ـ تمهل
(٧٥) لا بيه ـ لا استطيع
(٧٦) ليك ـ اليك .

چلمه[٧٧]أرد أحاچي[٧٨]هواي بطني اِنتِـــــــــــرس دم

وترجو بانكسار ويأس :

طولوهـا يـا محِبينْ هاي أتلَـه وكَفـه[٧٩]
ضرَنـي الهَجر چتالْ[٨٠] والـفُـركَـه كلفـه[٨١]

وتهتف بحنق :

بالظعـنْ وَين تريدْ ول ول يـحَـادي
هلَبـت[٨٢] تكَول أحباب ظَـلـت تِنـــــادي

الا ان استغاثتها تذهب صيحة في واد ، فليس هنـاك من مجيب ولا سامع .. لذلك تقول يائسة :

---

(٧٧) چلمه ـ كلمة
(٧٨) احاچي ـ اكلم
(٧٩) أتله وكفه ـ اخر وقفه
(٨٠) چتال ـ قتال
(٨١) الفركه كلفه ـ الفراق صعب .
(٨٢) هلبت ـ عسى ولعل .

الظَعــن طاح ابغار دوب أسمـع الوِيْد[٨٣]
خَلَصت باجـي[٨٤] الحيل[٨٥] يــالشايــل بعيـــــد

وتعود الى الناس ، العذول ، سبب مأساتها المضنية فتعجب لما يأفكون :

شوف اِشتـكَول الناسْ مطــرب للـــــوداعْ
مــن عــادة المذبـــوح يرفسْ عـلى الكَـــاع

وتأخذ على نفسها عهدا ان تبقى امينة على حبها وان هجرها الحبيب :

لازم أمــر بــالـــدار وألـطـم عـلى الـــرأسْ
أتعــبِ واصيح الغـــوث وتـردّنــي النـــاسْ

وتتخيل فراق الحبيب كموته سواء بسواء ، انها تنادي من

---

(٨٣) الويد ـ صوت المسير الآتي من بعيد .
(٨٤) باجي ـ باقي
(٨٥) الحيل ـ القوة .

حولها نداء المأساة والفجيعة :

خـالاتـي دكَـنْ حيـــــلْ هـا خالَــهَ وِيّـــــــايْ
موش[٨٦] ابنـي هذا الماتْ الميــت اهـــــــواي

وتصمم على وضع حد لمأساتها فقد نأت بفجيعة البعاد :

سم لو چتَــلْ تردينْ روحــي أرد أشيرِج[٨٧]
هــذا أولَّـچْ بالظَّيـــــــمْ اِشـلـونْ أخـــــيرِچْ ؟

وما ان يخف زخم حالة التأزم العنيف تلك حتى تعود لمناجاة حبيبها مالىء قلبها وشاغل نفسها . . !

لا تظــن عينــي اتنام واطبَــك جفنهـــــــــا
مثــل التنــكَط الماي لــوحيــد ابنهــــــــا

وتهزأ من قدرة الهجر والبعـاد على انسائهـا طيف الحبيب الماثل أمام ناظريها أبدا :

---

(٨٦) موش ـ ليس .
(٨٧) اشيرچ ـ استشيرك

عود إبعـدتْ واسلاكْ غَمَّـك يـهـالـراي
تِعـرض لِي بالماچول[88] وبشـربـة المـاي

وتتأسى بلذة الألم وتتعلق بسراب الأمل فتقول :

جَثّـر عذاب الروح آنـا ارضَى بهواي
بالحشرِ بَلْچـي[89] يطول موگافـك ويـاي

وتشكو مأساة قلبها المتيم شكاة اليائس الكليم القلب . . .

كَلبـي بفَـرد بتين اِنكَطعـن أو ضـاعْ
واحـد بَحـدْي العيس أو وُاحـد بالـوداعْ

ولكنها لكي لاتفسح سبيلا لشماتة الشامتين ، تجهد ان تكتم ما تعاني وما يعتلج في قلبها المجروح :

أصفـج الـراحْ براحْ[90] وأتغَنـهَ بالْـرّاحْ[91]

---

(٨٨) تعرض لي بالماچول ـ اتخيلك عند الاكل .
(٨٩) بلچي ـ عسى .
(٩٠) اصفج الراح براح ـ اضرب اليد بالاخرى .
(٩١) اتغنه بالراح ـ اتذكر الحبيب الذي بعد .

خـاف مـن اگـولـــــن آه شَمـاتـــي ترتـــــــاحْ

ويؤلمها أشد الألم ان تكتوي بنيران الفراق وهي لم تتفيأ بعد ظلال الوصال . انها لما تزل عطشى متلهفة :

أصبحـتْ روحـي اِليومْ ذابـــل وردِهـــــــــا
هَدّولِي عَبـرةْ ماي[٩٢] والـواشـي سـدْهـــــا

وتقول :

هرش[٩٣] الگلــب شِلعوهْ ويَه افتراعَـــــــــــه
منـع الـرضيع اِشلونْ أولْ رِضاعَـــــــــه

وعندما يعصر قلبها الوجد ويهصر نفسها الألم تحاول ان تتأسى بالبكاء ولكن دمعها عصي ، في الحوادث غالي :

خَلاَلـي[٩٤] ونّـه وراحْ آيـا وليفــــــــــي

---

(٩٢) هدولِي عبرة ماي ـ أعطوني شيئاً من مسيل الماء .
(٩٣) الهرش ـ الغرس او النبت .
(٩٤) خلالي ـ ابقى لي .

ما مش عَزيز يموت وابچـي علـه كيفي

وتصف ما تعانيه من ألم الفراق وحرقة الوجد لا سيما عندما يدلهم الليل وينفض السامر :

كلما يصير الليل يطْرَنْ أحزانكْ[٩٥]
عين العمى ولا أشوفْ خالِي مِجانَكْ

وتسترسل تصف ما تلاقيه من ضنى الفرقة وحرقة الوجد وألم الانتظار ، انتظارها القاسي الجديد . . . انها تقول :

كلما أشوف الدار تِهملْ عيوني
صَدّكَ وحكَ عيناكْ لمّن تِجوني

وتسمع صدفة نداء من ينادي سَمي حبيبها الهاجر فتنتفض كالعصفور بلله القطر :

ريت اللـه لا ينْطيك يالصِحِتْ باسمهْ

---

(٩٥) يطرن احزانك ـ اتذكر احزانك ـ يخطرن على بالي .

فـر فَـرت العصفــــــــورْ   گــلبــي اشيــلــزمـــــــه

لكنها تعود فتتماسك محاولة تحدي شماتة الشامتين :

بَـطَّـلــت   ماگــوليش   مـن   جَرحــي   أحاه
چيِ[٩٦]   دوّرت   والگَيت   عِدْ   شامــتْ   ادواه

وتنتهر قلبها المعنى الشاكي زاجرة :

أشْ   ولك   يالدلال   بَطِّلْ ونينَـــــــــكْ
كِلْهــا   اصبحــت   عِدوانْ   مْحَـدْ يعينَـــــــكْ

الا ان وجيب قلبها أعنف من ان يقاوم ، وحبها أكبر من النسيان ، لذلك أخذ عليها كل جوانب نفسها . انها تصف حالتها قائلة :

أسمــعْ   هَلي   ينادونْ   ما   بيّه   أرد   هـــا
مِلْتهيه   أشِــد   جروح   گَلبـــي   عْلىَ   فرگاه

---

(٩٦) چي ـ لان .

وتستحث دموعها المزيد مداراة للمصاب :

يا عينـي زيدي اِبچاي غَـرَّبْ[97] ولـيفـچ
وبحِجَّـةْ الـدخان اِبْچـي عْلىَ كيفچْ

وتقول :

بچـذب الـﮔال العَيْنْ لـو بچـت حكّهـ
لو عِمَـتْ من فرﮔاه بَـيَّنْ صِـدِﮔـهَا

وتقول :

تْعَمَـنْ والـعبـاس ودِّي بعماجـن
ولا ودِي أشـوف اظعون مـن ولعاجـن

وتشتد بها الأزمة وتعصف بها الحيرة وتفتقد الوسيلـة ـ ايا كانت ـ التي تحقق لها أملها المنشود :

---

(٩٧) غرب ـ ذهب جهة الغرب أو لبلاد الغربة .

لاعِبـره[٩٨] وأنطــي فلوس لاعَــرفْ افــوجـن[٩٩]
سم وجرِعْتَــه وياك تمَــيَّتْ ألــوجَـنْ[١٠٠]

وتؤكد له ـ وان هجر ـ صدق حبهـا وصـادق اخلاصهـا بالرغم من كل ما عانته في غرامها وما زالت تعانيه :

لا تِـظِـنْ خـلـيّ اســلاك خـاف إنـتَ سـالــــي
بـاسمـك ألـحّ للمــــوت تِطـره عْـلَـى بـالـــــي[١٠١]

وتسأل نفسها وقد جافاها النوم ، فجأة ، بعـد ان كانـت تغط في سبات عميق :

يا روحــي نص الليل هــا ، شُو كَعِـدْتي
حكَّجْ ، ما ألـومْ عليَجْ يْمِــكِــنْ ذِكــرتـــــي

---

(٩٨) العبـره ـ واسطـة عبـور النهـر حيث يستعمـل القـارب أو الـكلك أو ما شاكلها .
(٩٩) لاعرف افوجن ـ لا اعرف السباحة
(١٠٠) الوجن ـ اهيم .
(١٠١) تطره على بالي ـ اتذكرك .

وتضنيها لوعة الفراق ويطعنها الأسى فلا تستطيع صموداً وتسقط طريحة الفراش تعاني البرحاء .

إنها تقول لمعالجها حين ظن انها تشكو علة مرضية لا أزمة عشقية :

ردْ يالـطَبيب الجاي لا تِلـزمْ أيـدِي
ما مش نَبضْ ينبيك روحـي بْورِيـدِي

وازاء اصراره على فحصها وعلاجها تقول له :

رَيضْ يَاهَالدختـور[١٠٢] لا تجِسْ نَـبضي
صدّك بعـد مِشْوار والعُمُـر يگضـي

وفي عنفوان أزمتها تتخيل حبيبها وقد جاء يعودها في مرضها فتقول له :

تنشدنـي عِلْتـي اِمنَيْنْ وانـتَ سِبَبْهَـا

(١٠٢) ريض يا هالدختور ـ تأن ايها الطبيب .

كتبـه علّيـه هـاي ربَّـكْ كِتْبهَـــــــا

لكنها ما تلبث ان تعود الى وعيها فتجد نفسها كغصن نحيل في ريح عاصفة عاتية . . .

ومرة أخرى تواسي وتلوم وتعذل :

تِبْچـي على العافوكْ يـا گلُـبْ مـالك
لا يا سفيه الراي خـاووْا بِـدالَـكْ[١٠٣]

وتئن أنة المعنى المقرّح القلب ، الذي أضناه البعـاد لكنـه يخشى ألسنة السوء فلا يجهر بما يعانيه .

آ . . . ونـتـي آ . . نوحاي آفرگة هـــــــــواي[١٠٤]
آ يا لبچـي بسكوت مـن نـاس الـويـــــاي

وتستعدي على حبيبها الأقدار ، ولكنه استعـداء المخلص الذي لا يعني ما يقول :

---

(١٠٣) خاو بدالك ـ احبوا غيرك .
(١٠٤) اواه من أنيني وشكواي وفراق الحبيب .

روح اللّه لا وياكْ ياالعِفْتْ الأحباب
الكَلب من فركَاك خَزَن[١٠٥] ولا طاب

وتعود الى قلبها توسعه لوما وتقريعا :

اِشتِحْمِلْ يَا هَالدَلالْ رَيتَ اللّه يِبْلاكْ
وانتَ بنزاع الموت وِتِحْنْ عَلَى هْواك

لكنها تستدرك مصححة موقفها ، انها حيرة العشاق التي تعسر على الاستقرار والهدوء والموقف الواحد . . . وورقة يابسة سقطت من غصن وتلاقفتها تيارات الرياح ، انها بعد كل ذلك ، تقول :

مُرْ تسمع اِلهَ وَيدْ[١٠٦] روحي او كَلْبُهَ
شِلْهَه غَرض هالناس نار او حَطَبْهَا

وتعود الى العذال ، الشامتين ، تستمطر لعنة العاجز

---

(١٠٥) خزن ـ امتلأ قيحاً .
(١٠٦) ويد ـ من الوقد اي الاشتعال .

اليائس وحقد المعذب الموتور :

هَلْهِـلْ يا شامـت حيل[١٠٧] خـلْ يِسْمَـعـونَكْ
عَكَلّيْ ، وليفـي راح كُـرَّةْ عُـيونَـكْ[١٠٨]

وعندما تهتز الصورة أمام ناظريها وتتلاشى المرئيات تدرك ان النهاية آتية لا ريب فيها لكنها لا تنسى ـ وهي تعاني سكرات المنية ـ أمنية عزيزة على نفسها ، حبيبة الى قلبها . انها تقول :

أَتْمنَّـى عنـد الموتْ يِحِضـرنـي هـواي
بيده يِغمضْ العَيْنْ ويَنـگَطّ المـاي

. . . وهكذا تكتب في لوح القدر نهاية أخرى لصرعى الوجد ، تضاف الى السفر الكبير ، سفر ضحايا الحب عبر الدهور .

---

(١٠٧) حيل ـ بقوة .
(١٠٨) كَرة عيونك ـ قرة الأعين .

هذا . . . نموذج قصصي جمعت فيه ـ على سبيل المثال ـ لا الحصر طبعاً ـ اضمامة عطرة من المشاعر الثرة المضوّعة التي تعيش الحياة في أجواء النغم الشعري الأصيل بتوافق حالم وهدهدة سكرى .

وهو واحد من آلاف قصص الوداد في أجواء ريفنا العراقي المعطاء ، تلك التي تحكي حكاية الوجد في شعر العاطفة الشعبي ، صادقة الأداء مرهفة الشعور مخلصة في حسها وانفعالها .

والآن ثمة سؤال :

ـ ترى ، ما هو الشعر ، ما هي سماته وما مقومات صدقه، واصالته ؟ .

ان الجواب الذي أجمع عليه نقاد الشعر القدامى هو انه

« الكلام الموزون المقفّى الذي يدل على معنى » .

ذهب هذا المذهب (ابن رشيق) وقاله (قدامة بن جعفر) كما قاله (ابن خلدون) .

ورسم المرزوقي سمات ومميزات الشعر في مقدمة شرحه لحماسة « ابي تمام » فقال ان الشعراء العرب « كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته والأصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما »[١] .

وتلك ـ لا شك ـ نظرة عربية قديمة الى الشعر ومقومات الأبداع فيه فالنقاد المحدثون يرون في الشعر اكثر مما رأى فيه الأقدمون ويحملونه رسالة اسمى .

فكبار نقاد الغرب مثل (ورد زورث وامرسون

---

(١) شرح (الحماسة) ط . احمد امين وعبد السلام هارون : ص : ٨

واستدمان) وغيرهم ذهبوا الى ان (الشعر هو الحقيقة التي تصل الى القلب بواسطة العاطفة والمحاولة الخالدة للتعبير عن روح الاشياء وهو ـ بعد ذلك ـ اللغة الخيالية الموزونة التي تعبر عن سر الروح البشرية)[٢] .

وبذات النظرة يقيمه كبار النقاد العرب فهو على حد تعبير بعضهم (نبضة قلب قبل ان يكون لمعة فكر ، ووسوسة افئدة قبل ان يكون رنين ألفاظ)[٣] . ولذلك ينعى الاستاذ احمد الشايب في كتابه « اصول النقد **الأ**دبي » على الذين اتخذوا من (الوزن والقافية) اساساً لتقسيم الكلام الى نظم ونثر ذلك لأن (طريقة الأداء ـ وهي أساس هذا التقسيم ـ ليست ذات شأن بالنسبة لـ (موضوع) العمل الأدبي . بينما ذهب (ارسطو) في كتابه الشهير (الشعر) الى ان (الوزن والكلمات والنغم وسائل مختلفة تتحقق بها المحاكاة في شتى الفنون) .

---

(٢) مقدمة رواية (مليم الاكبر) لعادل كامل ص ٦١ .

(٣) عدد الرسالة رقم ٥٧٤ .

ان القضية ليســت قضية (وسيلــة) بل هي مسألــة (موضوع العمل الفني) بالذات فبقدر ما تعكس الهزة الروحية امام الجمال من اثر في الموضوع الفني يكون النتاج رائعاً ومعبراً . و يصدق هذا القياس على كل موحيات ومعطيات العمل الفني ، أياً كان نوعه .

ان ميزان العمل الفنـي الجيد هو (وجـه الأجـادة فيه) فالجمال والبيان ـ كما يقول ابن الأثير ـ لا نهاية لهما الأمـر الـذي يعسر معه تحديد شيء تحيط به المعرفة ولا تحده الصفة » .

وما دام الأمر كذلك ، وما دام الشعر الصادق الاصيل غير « الكلام الموزون المقفى » فقط ، وهو لا يقاس « بكم » المعاني والتفعيلات وكيفها فنحن نستطيع ان نقيّم جمالية الشعر الشعبـي واصالتـه كفـن له جماهـيره والمعجبـون به في ضوء تلك الأسس التقويمية الجديدة .

اما موضوع لغته العامية فالمعروف على مستوى النقد الفني

هو ان « كل لغة تناسب المقام يجوز استخدامها في الأدب . اما العيب الوحيد الذي يسيء الى الاسلوب فهو ان يكون عاجزا عن التعبير ، بمعنى انه لا يستطيع ايصال الفكرة صحيحة دقيقة حية ، كما ذهب الى ذلك الشاعر الإنكليزي « ورد سورث »[٤] وعندي ان الشعر الشعبي العراقي كان أكثر من معبر ناجح فقد حملت كلماته الأخيلة الحالمة والعواطف الهفهافة والدفقات الشاعرة بعفوية رطبة منعشة عبقة الأريج .

يقول نزار قباني[٥] ان « حكاية الشعر كحكاية الوردة التي ترتجف على الرابية . . انك تحبها هذه الكتلة الملتهبة من الحرير التي تغمر اصبعك . . وانفك . . وخيالك . . وقلبك . . دون ان يدور في خلدك ان تمزقها ، وتقطع قميصها الأحمر لتقف على سر هذا الجهاز الجميل الذي يحدث لك هذه الهزة العجيبة وهذه الحالة السمحة ، القريرة ، التي تغرق فيها . .

---

(٤) مقدمة ـ رواية مليم الأكبر لعادل كامل ص ٢١ .

(٥) مقدمة ديوان ـ طفولة نهد ـ لنزار قباني ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٨ .

« وحين تفكر في هذا الإثم يوما فتشق هذه اللفائف المعطورة وتذبح الاوراق الصبية ، لتمد انفك في هذا الوعاء الانيق الذي يفرز لك العطر ، ويعصر لك قلبه لونا . . . حين تدور في رأسك هذه الفكرة المجرمة لا يبقى على راحتك غير جثة الجمال وجنازة العطر » .

وما تلك النسمات الهفهافة الحالمة ـ من شعر العاطفة الشعبي ـ الا زهرات يفحن عطرا عشقيا زكيا .

ونحن اذا ما تذوقنا الفن الجميل بواسطة « الادراك الحسي » احسسنا بعمق ، صدق شعر العاطفة الشعبي واصالته .

يقول كروتشه : « على الناقد ان يقف أمام مبدعات الفن موقف المتعبد لا موقف القاضي ولا موقف الناصح . وما الناقد الا فنان آخر يحس ما أحسه الفنان الأول فيعيش حدسه مرة ثانية ولا يختلف عنه الا في انه يعيش بصورة واعية ما عاشه الفنان بصورة غير واعية »[٦] .

---

(٦) المصدر السابق .

واخال ان علينا ان نقف ذات الموقف ونحن نتذوق روائع شعرنا الشعبي مهملين جانبا حكاية « الكم والكيف » تلك و « الكلام الموزون المقفى » وما به تفعيلات وزحافات !! الى آخر هذا الكلام المزجى المقرف .

فالشعر الذي « يهزك عند سماعه » هو كالقمر « هذا الينبوع المفضض الذي يذر على الكون جدائل الياسمين » ، كما يقول نزار قباني ، أيضا . فلننعم بزئبقية ضوء القمر ولنترك - في مرحلة التذوق - حكاية اسرار جباله ووديانه . . . وكذا الشعر لنقرأه بـ « طفولة وعفوية واستغراق » .

ولئن كانت زهرات شعرنا الشعبي الفواحة مملوءة بالاشواك أنبتتها أشجار عفوية الإنبات خشنة الملمس فتلك طبيعة بيئتها وسمة اصالتها وعنوان صدقها .

وفي اضمامات الشعر الشعبي العراقي نماذج اكثر من ان تعد لتلك الاصالة والعفوية . . . أقول ، كثيرة هي الامثلة وعسيرة مهمة الاختيار، ذلك لأن كلاً منها يحكي للنفوس العطشى حكاية

ظمأ الحرمان ولهيب العواطف المشبوبة بحس صادق أصيل .

... منها ،حيث لا بد من المثال ، حكاية المتيمة التي أحبت انساناً ملك عليها نفسها وقلبها ، ولكن اباها باعها سلعة رخيصة في سوق الرقيق ... نخاسة ليس الا ، عانت من جرائها المرأة العراقية كثيراً وتحملت أوزاراً لا قبل لها بتحملها .

انها تعلك العلقم اذ تصف ما تعانيه ... تقول :

مِثل الجِذِعْ ممدود « مُطْلَوني » يَمَّه
ولا مِنِّه العباس أَبيرزه[7] لَسِمَّه

وتصفه فتقول :

حاچِن[8] شفوف اثنين صَدْرَه او لحيته
وللي تِريدْ خيْوط فضْلتْ عميته

---

(٧) البيرزة ، فئة نقدية قديمة من النحاس تعادل الفلس في العملة الجديدة والمقصود انها تشتري له سما لتتخلص منه .
(٨) حاچن - اي حاكن من الحياكة والعميتة كمية من الصوف المفتول المهيأ للغزل .

ومن رفقته النكدة تتجرع الغصة وتلقى العذاب . . . انها تقول :

أسَهَـرْ وأكَضّي الليل عَــــن الـمَـرِيــده
وبالكَذلَــه[٩] بَــيَنَّ شيَبْ مِــن مَدّتْ ايِــده

ويبكي ابنها الرضيع في مهده ، ولكنها تنسى حنان الأم اذ يغلبها الوجد فتقول :

لو تبچـي كلّ الليل أبــداً مَا اهِـزَّكْ
لونَــكْ ولَيدْ هوايِ چــانْ اِشـمَـعَــزَّكْ

ويعَيل صبرها ولكن أين هي ساعة الفراق وكيف السبيل الى النجاة من الرفقة المقرفة ، انها تستعطف جارتها راجية خلاصاً من المحنة :

داده اِخــذي رَجلي ويـاچ للســوَكْ اِجِــلْبِيــــه
بوجِيّة[١٠] تَمَــر بيعيه بــالـچ تـردَيـــــه

---

(٩) الكَذلة ـ الشعر الذي يتدلى على الجبهة .

(١٠) الوجيه ـ الأوقية ، وهي ربع الحقة في مقاييس الكيل العراقية .

لكن جارتها المنكودة - هي الأخرى - تعانـي ذات الأزمـة وتتجرع غصة مشابهة لذلك فتجيبها :

داده انتـي رَجلـچ زَينْ أيـجيـب الـوجِيًّـة
بِعتـه بثَلَـثْ تَمَرات او ردوه عَـلَـيًّـه !

... ومن روائع الشعر الشعبي الصادقة الشعور الأصيلة العاطفة التي تترجم لواعج الصبابة بعفوية تهز النفس وينتفض لها الوجدان قولهم في وصف قلب المتيم الذي عانى الكثير وختمت معاناته بالوداع .. بالفراق ، يقول الشاعر :

الكَلُـبْ دَمّ يسيلْ سُـومَـرْ بـالْـولاْمْ[11]
لاچـنْ بهَالتوديـــــع طَـكّْ طكَّة الجـامْ

ويصف الشاعر وقفة تجلي مع من يحب ويهوى ... فلقد اضاع المسكين قلبه ... ثم نسيه في غمرة احتدام عواطفه خلال اللقيا العطرة ... انه يقول :

---

(١١) اي صار اسمر اللون من شدة الألم .

دَلالي طاحْ وَراحْ مـا عَيَّنَيتَـــــه
بْـو كَفِتِي وْيه هْوايْ يِـمْچِنِ نِسيتَـــــه

ويقول لمتيم آخر أضناه الوجد شكى له ما يعاني قلبـه من أوصاب :

مِـتَعَـجِّـبْ بْدِنْيـاكْ بيه كَلْبَـكْ اِزروفْ
شُو كَلْبِـي مُنْخُـلْ صار بيه العَمَـى اِيشُوفْ

وعندما يفقد الرجاء ويواجه حقيقة سرابية احلامـه ومنـاه يداري هواه مداراة المحزون اليائس :

طَـيرِكْ تَراهُ اِنصادْ يَالـنـاصـب الـعِشْ
دونَـكْ بِنَـوْا حيطانْ ظَلْ أنـتَ فَلَّشْ

ولأن قلوب العشاق يستخفهـا الطـرب ويرقصهـا بصيص الأمل وان شحب ، فإن قلبه العاشق ظل يتطلع وينتفض حتى بمجرد الذكرى . . انه يقول :

كَلْبـي أرد أدِ كْلَـه إثبات ‏ ‏ وْمَـوسَّـرْ بْـسِـيـمْ[١٢]
مُغـرم وَلِـع بـالشَـوكْ ‏ ‏ مِـنْ يْـذكـر يْـهيـمْ

وتقسم العاشقة المولهة ـ غير حانثة ـ على الوفاء ـ لا ما عاشت فحسب بل وحتى بعد الموت ايضا . انها تقول :

يا ولفـي لا تِرتاعْ ‏ ‏ عْلىَ العَهـد نامْ
لَـمَّـنْ تمُـر وتكَول ‏ ‏ اِلـمَـنْ هـالعْظـامْ

وعندما يبلغها ما تَقوله الوشاةُ وما اختلقه النامون والعذال تستغيث وتستبدبهاالذكرى، لذلك فهي ترتضيه ـ اي النمام ـ جليساً لتسمع « ذمه » كما تنصت الى مديحه مكتفية ان تكون « سيرة » من تحب محور الحديث . انها تقول :

جِيبـولي النمـامْ ‏ ‏ خَلْ يكَعِـدْ ويايْ
ذَمّ لو مَدِحْ مَقْبولْ ‏ ‏ بَسْ طـاري هْـواي

---

(١٢) موسر بسيم ـ اي مربوط بسلك .

وحيث ان « خلل الرماد وميض نار » في قلبها المُعَنى فهي تظل حيرى حيث ليس ثمة وسيلة للسلوان . . . انها تصف ما تعانيه فتقول :

انفخ وأريد أجليه من كَلْبي الغبار
كلُماْ أريدْ أطْفيه تتوجَّر[13] النار

وعزة النفس ـ دائماً وابداً ـ تكأة العاشق المعنى في المواقف المحرجة كأن يواجهه لئيم شامت بما لا يود ويهوى لذلك فهي توصي « نفسها » محذرة من التهاون في الكرامة ايا كان المبرر والدافع فتقول :

يا روحي لا تميلينْ للنذل بالِـجْ
راح وبَعَدْ ماجا اليشچي بحالج

ولأن « وردة الصاحب تغث » كما يذهب القول الشعبي المشهور فأن المتيمة العاشقة تحدد موقفها من تقولات الناس ومدى

---

(١٣) تتوجر ـ تزيد اشتعالا .

تأثير موقف حبيبها منها على نفسها . . . فتقول :

لا غَثْنـي حَجْـي الناس لا غثنـي الحْيـار[14]
بَس وردة المحبـوب بِـيَّ اسعَـرَتْ نـار

وتشكو وقد تملك نفسها اليأس وافتقدت الأمل :

طَرحـي[15] بصَـخَرْ ذبَوه مِـسحـاتي چَلَّـتْ[16]
بَس دعوتـي ويه هوايِ كِـل دَعْـوه فَـلَّـتْ

وهي من منطلق يأسها ذاك وفقدانها الأمل تنتهر « قلبها » وتتناسى مندحرة فتقول له وقد أتعبها وجيبه في هدأة الليل وسكونه :

يا كَلب هيد[17] او نام لكَعِـدْ وَچَوِّيـك

(١٤) الحيار ـ الحجار .
(١٥) طرحي ـ أي زرعي والمسحاة ـ الة كالمجرفة تحفر بها الارض عند الشروع بزرعها .
(١٦) چلت ـ عجزت
(١٧) هيد ـ اهدأ

هَمْ وتَعَبْ وفـراكَكْ كَلـي إشيظـل بيكْ

وتقول :

انهجـم بَيتْ النام واغمَضَـتْ عَـيَنـه
ساعـةْ عَلَى ساعـةْ إيزيد تـوحَـه او ونـيـنَـه

ولكنها وبالرغم من يأسها المرير تتعلق ببصيص الأمل :

شيـه الـدَرَج دنياك شـيّ أعْلَى من شَـيّ
يَالْبِالشَّـمِسْ ظَـلَّيتْ لازِمْ يجـي الفَيّ

وكثيرة هي النماذج . . . وجميلة معطياتها لكن حصرها عسير وليس امامنا الا الأختبار . فمن نماذج « العتاب قول الشاعر » او لعلها الشاعرة .

ومن نماذج « العتاب » قول الشاعر او لعلها الشاعرة :

ساسَـك[18] رمُـلْ هَـيّالْ مِـنْ يـا شريعـه[19]

---

(١٨) ساسك ـ اساسك .

(١٩) الشريعة ـ شريعة الماء على شاطىء النهر .

عالـرايحْ أو عَالجَايْ سِـــــرَّكْ تِبيعَـه !

وينادي « حبيبته » باذلاً الغالي والنفيس في سبيلها :

يا شگّره خَشنـه الگاعْ أمشي عْـلَـى عَيني
وَفْـد يِلِـچْ الرضعـــان ومْكَرْبينـــــي[20]

ويصف زفرات « قلبه » و « آهاته » فيقول :

يا گلـب لولا الآه صَنْـدوگَـكْ اِنطَرْ[21]
من بـين اديه هواي مـايْ أو تِـطَـشَّـرْ

ويأسى ويأسف على ما لقيه من « عذابـات » من يهـوى فيقول :

لو أدري هيچ اِيصير مـا عـاشَرِتْهُـــــمْ
عَظْـم أو جلِـدْ ظَلَّيتْ مِـنْ فارگَتـهُـــــمْ

وحـين يعيش « الوجـد » ذكريات يشوبهـا الألـم بسبـب

---

(٢٠) امگربيني ـ اقاربي .
(٢١) انطر ـ هنا بمعنى انكسر .

الفراق والبعاد وما أشبه ، تجسد « الأخيلة » مواقف يسجلها الشعر الشعبي بمنتهى الأبداع .

انه يقول مثلا :

شِفْتْ البَدِرْ يَهْوايْ لا اِبالي إنتَه
صار اِشتباهْ وْيايْ عكَلْي إنْتَه أخَذْتَه

ويعنفه على صدوده فيقول :

نَجْمَةْ صُبُحْ يهَواى عالي عْلَىَ الْبيوت
عَينْ التِصِدْ لِلْغَيْرْ تِعْمَى او بَعَدْ موت

ويأسى من الهجر والفراق فيستغيث :

يا كَلْبي هذا الموت هذا اليتلفكْ
التكَضْي العُمُر وياه ما چَنْ يِعِرْفَكْ ؟

لكنه يعود يغري من يهوى ويسترضيه :

كل التِريدَهَ يصيرْ بَسْ احچي وآمِرْ
خلْ تِخرب المخلوكَ بس انت عامِرْ

ويسجل حسه مخلصاً في نقل تجربته ومعاناته :

انهجـم بيت الكَالْ بالعِشْرَة[22] راحـــة
كل عاشِـج اِتْـمُـرْ بيه ناصبْ مَناحَـــة

وتقول الشاعرة المتيمة التي انقطع بينها وبـين من تهـوى حبل الوصل :

مِتْحَزِّمة إحْزامــــينْ او كل لَطْمـي وَيلِي
واطبـكْ نهـاري وياه مِنْ يكَضـي لَيـلي

وتصف حالها وما تعانيه :

العَـكَلْ ويَّه الروح مـنّي اِسلَبْتـهِـنْ
نْجـوم الظهـر بِجْفاكْ يَا أشْگَـرْ شِفِتْهِـنْ

وتقول :

الـرُمَـدْ للـحـزنـان بيه حالـهَ زَيَنه
مَحَّـدْ يِصِـدّْ عْلَيه مِنْ تِهـلْ عيَنه

---

(٢٢) العشرة ـ الحب .

تشكو متألمة متوجعة :

ناضَـــت او عَيبْ اتكَوم وآنَـــا أنْـخى بيهَا
مْتوطْـــرَه والـحَسْـــراتْ تِـرِدفْ عْـلَـيهَـــا[٢٣]
لَحَّـــد يـلـوم الـروح وآنَـا أدْرَى بِـيهَـا
اتـكَلـــي أريد اهوايِ بَيشْ أنـْدِعِيهـــــا

وتترجم حسها المرهف فتقول :

كَالولـــي مِنهـــو ذاكْ كَلتلهـــم اهــــــــواي
شنهـــو العلامـــة بيـــه « رف كَلبـي وچْـلاي »

وتتمنى بعد ان ارهقتها وشاية الواشين وتقولات العذال :

بين السِمَـــه والغَيمْ عونَـــه الغفـــهَ او نـــامْ
لا واشـــي يِصعـــد لَيهْ لا يَمَّـه نَـمّامْ

وتقول :

مشـــتَهْيه روحـــي اليوم تـتـنـــادم او يـــاكْ

---

(٢٣) حاولت نفسي ان تنهض لكنها لم تستطع بالرغم من حثي لها فقد اثقلتها الهموم والحسرات .

تِكَدر تِسوي احسانْ يَا اشْكَرْ عْلَى هْواكْ

ويصف العاشق جوى قلبه وعنفوان عشقه فيقول :

أضحك وواسي الناسْ والبِيَّه بيًّه
البِلمَهدْ مِنَّه يْشِيبْ ضَيم العَلَّيه

وتستغيث متوجعة :

النارْ أصيح النارْ حِرِكَتْني النارْ
وَجَتْ ولا تطفيش(٢٤) بضلوعي الكَصارْ

وتتحدى المتيمة الهجر وتقصد دار من تهوى وإنْ شط المزار :

عَمْدَةَ أردْ أمُرّْ بالدارْ وَأشْبَعْ مَغَمَه
وَأنحب نِحِيب يْتيم مِنْ يذْكر أمَّه

وتقول :

---

(٢٤) وجت ولا تطفيش ـ اشتعلت ولن تنطفىء .

مَيَّةْ عَزيزْ ايموتْ من أهلــي وَأنساه
أحَــا ، سَهَــمْ فرِكَاك شَجْ ضِلْعــي وحناه

وتنصح بعد ان آلمتها تجربة الصدود :

لا تِنطـي اِلـدَّلال وْبتـوتـه لِـهْـواكْ
ما مِن وفــه ْبهَاليَومْ يـا صـاحــب أنـهـاكْ

وترحب بمن تهوى معاتبة بعد فراق مضن طويل :

مَيَّةْ هَلَـه ْبهالطول عْتـابْ اِلـي وَيّـاكْ
سْنين أدَوْر عْلَيكْ هَسَّــه اللّــه جـابـاك
أتنــازع ويــهَ الموتْ كِلَّـه عْلَــى فرِكَاكْ
شِبـــب خَـي لِـسـاعْ[٢٥] مـا تِمرْ بـهـواكْ ؟

. . . وهكذا دائما يتسـم الشعـر الشعبـي بعمـق الحس وعفوية الأداء وهو يلتزم قيم الريف وسمات البداوة والاعتبارات

---

(٢٥) لساع - حتى الآن .

التي احتلت مكانتها في حياتهم .

لذلك ، ومن هذا المنطلق ، يقف الشاعر العاشق موقف الصلب الذي لا يلين وعزيز النفس الذي لا يرتضي الهوان بالرغم من كل ما يعانيه . . . انه يقول :

اِلدَهَـرْ لو وازاك[٢٦] اِبّـالَـكْ[٢٧] تْصيـــــحْ
خل الرمـح بچلاك اصــبـر لمـا تْطيـحْ

ويقول :

اِشْمـا ثكَل تِرتاح روحـي بـحملـهَـا
نِهضـت او كَامـتْ بيه چـي شامـت اِلهـا

والشاعر الشعبي الذي عاش حياة المدينة ولجأ ـ كما قد يلجأون ـ الى الخمر يتأسى وينشد السلوان ، يقول لنديمه :

---

(٢٦) وازاك ـ ضايقك .

(٢٧) ابالك ـ اياك .

كُفْ لا تدير الراحْ إتذكرني بالراح
عود آنا اسفه الروح وَسترْ بالافراح ؟

وكثيرة هي نماذج الشعر الشعبي الرائعة المعطاء كما اسلفنا القول . . كثيرة في كل فنون الشعر الشعبي واياً كان موطنها وسط العراق أم شماله أم الجنوب ، وهي - جميعها - تجسد العفوية الأصلية والأحساس المرهف والوله العُنى في اداء سمح بسيط وجمال عفوي منعش ، سماحة الريف وسحره وصدقه وعفويته .

. . وبعد

يحضرني - في هذا المجال - وانا اتلمس صدق الشعر الشعبي واصالته ما ذكره صاحب « الأغاني » في معرض الحديث عن « اخبار الشاعر ابي العتاهية ان (ابا دلف محمد بن هاشم الخزاعي) قال :

« ذكروا يوما شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ الى ان جرى ذكر ارجوزته المزدوجة التي سماها « ذات الأمثال » ،

فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى الى قوله :

يا للشباب المرح التصابي   روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف . ثم قال : انظروا الى قوله : (روائح الجنة في الشباب) فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة الا بعد التطويل وادامة التفكر . وخير المعاني ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه ![٢٨]

فاذا كان الأمر كذلك ـ وهو كذلك فعلا ـ فان في روائع شعر العاطفة الشعبي معاني ثرة لا تدرك كنهها الا القلوب وتعجز عن ترجمتها الألسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير .

وما دام خير المعاني ـ كما يقول الجاحظ « ما كان القلب الى قبوله اسرع من اللسان الى وصفه » فالواقع ان اكثر معاني

---

(٢٨) الاغاني ـ لابي الفرج الاصفهاني . ص ٢٧٦ (طبعة دار الفكر ـ مكتبة دار الحياة ـ بيروت) .

الشعر الشعبي العاطفي الجيد يحتل من القلب مكان السويداء .

والتقويم الشعري هنا - بطبيعة الحال - لا ينظر الى الشكل مجردا بل يعنى اكثر ما يعنى بالطبيعة الشعرية ، والا « فألفية ابن مالك في النحو و (متن السلم) في المنطلق فيهما اللفظ والمعنى والوزن والقافية » ، لكنهما لا يمكن بحال ان يعيشا ارهاصات الشعر ولا ان يعبرا عن انفعالات شاعر .

ان نظم الكلمات ورصفها غير كتابة الشعر . ومتى ما التزم الشعر قواعد « الشكل » فحسب ، وتنكر للروح الشعري والهزة الجميلة والانفعالة الحلوة ، بعد كثيرا عن شاطىء الشعر الندي وتحول الى مجرد « نظم » ، موسيقاه نشاز ورنينه خشخشة قصب جاف .

أقول ، قضية الشعر ليست قضية قواعده وأصوله وحدها ، بل ان القواعد والاصول وسائل ايصال النغم العذب الى الأذن السماعة ليس الا . ومتى ما أوليت « القواعد والأصول » وحدها الاهتمام والعناية ، ومتى ما جارت القواعد

على الفن واهملت ترانيم الروح في حروف الشاعر ، . . . حق لنا ان ننعى الذوق ونشيع جنازة الجمال . فليس المطلوب من الشعر ان يكون اكثر من رسالة جمال وبشير روح وارتعاشة وجدان وليس من رسالته ان يكون كلام تكسب ينتج ريعا ويغلّ موردا .

وما هو بشعر صادق ذلك الذي لا يعدو أن يكون صفحة معجمية لشوارد القاموس .

ان الشعر أياً كانت لغته ، عرف أم لم يعرف قائله « كهربة جميلة ـ على حد تعبير نزار قباني ـ لا تعمر طويلا ، تكون النفس خلالها بجميع عناصرها من عاطفة وخيال وذاكرة وغريزة مسربلة بالموسيقى » .

ولقد نقلت (العامية العراقية) ـ وليس ذلك دفاعا عنها او دعوة لها ـ ارهاصات الشاعر وانفعالاته في بساطة وعفوية بلغت مرحلة التسامي التعبيري عن العواطف الأصيلة .

يقول « ت .س .اليوت » : لا يكون الشعر شعراً الاّ

حين يصل الموقف الدرامي الى حد من العمق والتركيز يصبح معه الشعر الوسيلة اللغوية الوحيدة للتعبير الطبيعي ، فهو في هذه الحالة اللغة الوحيدة التي يمكن بواسطتها التعبير عن العواطف :[29]

... وحقاً ، لقد كان الشعر الشعبي العراقي اللغة الوحيدة التي عبرت عن العواطف الصادقة الأصيلة في ربوع ريفنا العراقي الحالم... واحسب انها ما زالت ، تعبر ، بصدق واصالة ، عن كل المعطيات ، برهافة الشاعر ... وحسن الفنان .. وصدق الأنسان .. الأنسان .

---

(٢٩) مجلة المسرح ـ العدد الثاني ١٩٦٤ ص ١٢ .

المراجع

١ ـ الأدب الشعبي ـ احمد رشدي صالح . الجزء الأول .

٢ ـ فنون الأدب الشعبي ـ الشيخ علي الخاقاني . الاجـزاء : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

٣ ـ الأغاني الشعبية ـ السيد عبد الرزاق الحسني . الجزء الأول

٤ ـ الطرب عند العرب ـ عبد الكريم العلاف

٥ ـ الموال البغدادي ـ عبد الكريم العلاف

٦ ـ الأدب الشعبي ـ خليل رشيد

٧ ـ عامان في الفرات الأوسط ـ عبد الجبار فارس

٨ ـ اصول ألفاظ اللهجة العراقية ـ الشيخ محمد رضا الشبيبي

٩ ـ الأغاني ـ ابو الفرج الاصفهاني

١٠ ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر

١١ ـ مقدمة ابن خلدون .

١٢ ـ العربية ـ دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ـ يوهان فك ـ وترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

١٣ ـ اصول النقد الأدبي ـ احمد الشايب

١٤ ـ دراسات في اللغة ـ الدكتور ابراهيم السامرائي

١٥ ـ ديوان طفولة نهد ـ نزار قباني

١٦ ـ ديوان الملا عبود الكرخي ـ الجزء الاول .

١٧ ـ مليم الأكبر ـ رواية ـ عادل كامل .

هذا وقد وضع الشيخ علي الخاقاني مجموعته الشعرية الفخمة ـ غير المنشورة ـ تحت تصرفي كما أمدني بالكثير من مصادر البحث فهو بذلك له على هذا البحث فضل سابغ ورعاية مشكورة .

منشورات
المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان ـ ص . ب : ١٥٥١٥٥



جميل الجبوري

كاتب عراقي معروف ، بدأ النشر منذ اوائل الخمسينات .
كتب المقالة والقصة القصيرة والمسرحية والسيناريو الفني للاذاعة والتلفزيون والسينما .
اول مؤلفاته « نداء التاريخ » مجموعة مسرحيات تاريخية نُشر بتعضيد من وزارة المعارف العراقية في منتصف الخمسينات .
وآخرها ـ حتى الآن ـ سعد بن أبي وقاص ـ سيرة بطولة متفردة ، نشرته وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية اواخر عام ١٩٨٠ .
كما شارك في تأليف : العراق في الطريق : ابراهيم صالح شكر ـ حياته وآثاره : وأعد واشرف على اعادة طبع مجموعة من الكتب منها : العراق المعاصر : لغة العرب جـ ٢ :
اعد مجموعة من كتب الببليوغرافيا عن حركة الاصدارات الثقافية في عهد ثورة السابع عشر من تموز تعتبر سجلاً اميناً للمسيرة الثقافية اليانعة في القطر العراقي .
كما ان له مئات المقالات والأحاديث والتمثيليات الاذاعية والتلفزيونية قدمت في العراق وفي بعض اقطار العالم العربي .
على طريق النشر يعد كتاباً عن (جزبور ـ رائد صحافة الهزل في العراق) ويخطط لأعمال ادبية تستقي مادتها من حياة القطر العراقي .
يعمل الآن في الدائرة الصحفية في السفارة العراقية في روما .

الثمن : ١٠ ل . ل او ما يعادلها